

THE ISRAEL LOBBY AND U.S. FOREIGN POLICY

John J. Mearsheimer AND Stephen M. Walt

الفصل السابع من كتاب أمريكا واللوبي الإسرائيلي

العراق وأحلام تغيير الشرق الأوسط

لماذا غزت الولايات المتحدة العراق؟ في The Assassins 'Gate: America in Iraq، صرح جورج باكر George Packer أنه "لا يزال من غير الممكن أن نكون متأكدين، وهذا لا يزال أهم شيء في حرب العراق". وينقل عن ريتشارد هاس Richard Haass، مدير التخطيط السياسي في وزارة الخارجية خلال ولاية بوش الأولى والرئيس الحالي لمجلس العلاقات الخارجية، قوله إنه "سيذهب إلى قبره دون أن يعرف الإجابة".

إلى قدر ما، فإن عدم اليقين لديهم أمر مفهوم، لأن قرار الإطاحة بصدام حسين حتى الآن يبدو صعب الفهم. من الواضح أن صدام كان طاغية وحشيًا له طموحات مقلقة - بما في ذلك الرغبة في الحصول على أسلحة دمار شامل - لكن عدم كفاءته جعل هذه الأهداف الخطرة بعيدة المنال. وكان جيشه قد تعرض للهزيمة في حرب الخليج عام 1991، وزاد من إضعافه بسبب عقد من عقوبات الأمم المتحدة. نتيجة لذلك، كانت القوة العسكرية للعراق، التي لم تكن مثيرة للإعجاب إلا على الورق، مهمة سهلة للأمريكيين بحلول عام 2003. وقد أدت عمليات التدقيق التابعة للأمم المتحدة القضاء على البرنامج النووي العراقي وقادت في النهاية صدام إلى تدمير مخزونات الأسلحة البيولوجية والكيماوية لديه أيضًا.

لم تكن هناك روابط مقنعة بين صدام وأسامة بن لادن (اللذين كانا في الواقع معادين لبعضهما البعض)، وكان بن لادن ورفاقه في أفغانستان أو باكستان، وليس في العراق. ومع ذلك، في أعقاب 11 سبتمبر، عندما كان المرء يتوقع أن تركز الولايات المتحدة مثل الليزر على القاعدة، اختارت إدارة بوش غزو دولة متدهورة تم احتواؤها بشكل فعال بالفعل ولا علاقة لها بالهجمات[1] على مركز التجارة العالمي والبنتاغون. من هذا المنظور، إنه قرار محير للغاية.

لكن من زاوية أخرى، ليس من الصعب تقبل الأمر. كانت الولايات المتحدة أقوى دولة في العالم، ولم يكن هناك أي شك في قدرتها على الإطاحة بصدام إذا اختارت.

لم تنتصر الولايات المتحدة في الحرب الباردة الطويلة فحسب، بل تمتعت أيضًا بسلسلة نجاحات عسكرية ملحوظة بعد عام 1989: هزيمة العراق بسهولة في عام 1991، ووقف إراقة الدماء في البلقان في عام 1995، وهزيمة صربيا في عام 1999.

بعد هزيمة طالبان السريعة في أعقاب 11سبتمبر فرضت الولايات المتحدة صورتها كقوة لا تهزم وجعل من الصعب على المتشككين تجاهل ذلك. وهذا جعل من الصعب إقناع أمريكا أن بأن خوض الحرب في العراق غير ضروري وغير صائب. أيضا أصيب الأمريكيون بالصدمة والانزعاج من أحداث 11 سبتمبر، وكان العديد من قادتهم مقتنعين بأن الولايات المتحدة لا يمكنها السماح للأخطار البعيدة بالنمو في عصر قد يحصل فيه الإرهابيون على أسلحة الدمار الشامل. اعتقد أولئك الذين فضلوا الحرب أن الإطاحة بصدام حسين من شأنه أن يقنع الدول المارقة الأخرى بأن أمريكا كانت أقوى من أن تعارَض، وتجبر هذه الأنظمة على الامتثال لرغبات الولايات المتحدة بدلاً من ذلك. في فترة ما قبل الحرب، باختصار، الولايات المتحدة كانت قوية وواثقة من قوتها العسكرية وقلقة

للغاية بشأن أمنها - وهذا مزيج خطير.

تشكل هذه العناصر المختلفة السياق الاستراتيجي الذي تم فيه اتخاذ قرار الحرب وتساعدنا على فهم بعض القوى الأساسية التي سهلت هذا الاختيار. لكن كان هناك متغير آخر في المعادلة، ومن شبه المؤكد أن الحرب لم تكن لتحدث لو كانت غائبة. كان هذا العنصر هو اللوبي الإسرائيلي (اليهودي)، وخاصة مجموعة من صانعي

السياسة والنقاد وهم الـنيوكونسرفتف (المحافظون الجدد)neoconservative[2] الذين كانوا يضغطون على الولايات المتحدة لمهاجمة العراق منذ ما قبل الحادي عشر من سبتمبر. يعتقد هذا النقاد المتعطشين للحرب أن إزالة صدام

[1] قلتُ: الكاتب يعتبر 11 عشر سبتمبر هجمات نفذتها القاعدة مع أنا نعلم أن هذا ليس صحيحا، ولكن كونه برفسور فإنه خائف على خسارة مكانته الاجتماعية والعلمية في الأوساط الجامعية كما حدث لأناس آخرين مثل الدكتور الفيزيائي Dr. Steven Jones

[2] المحافظون الجدد هم مجموعة من اليهود مع نسبة قليلة لا تتجاوز عادة 5% من عملائهم من غير اليهود، وتم تأسيسهم من قبل اليهود الشيوعين السابقين (لأن اليهود أيضا هم من أسس ومول الشيوعية) وهؤلاء على عكس المحافظين التقليدين همهم الأكبر هو تغدية الحروب والإضرابات وزح أمريكا وحلفائها في حروب مستمرة بما يحقق مصالح اليهود، ولعل من أهم أمثلة ذلك هو شخصية David Horovitz الذي بعد أن ترك أفكار الشيوعية بزعمه وتحول إلى شخصية محافظة قضى معظم حياته في أمريكا للتحريض على المسلمين عبر مختلف وسائل الإعلام من مكتوبة ومسموعة خصوصا عبر مجلته Forward، ومن أمثلة هؤلاء Daniel Pipes الذي كان صديقا مقربا لمحرر الصحيفة الدنماركية التي نشرت صورا للاستهزاء بالإسلام وهو من المحرضين ضد المسلمين في الغرب، ومن أهم طرق تحريض هؤلاء على المسلمين هو تضخيمهم بما يسمى بالخطر الإرهابي. مؤسس المحافظين هو Irving Kristol شيوعي يهودي سابق وابنه كما سنرى هو من أهم من تسبب بالحرب العراقية. فرق آخر بين المحافظين الجدد والتقليدين هو أن المحافظين التقليدين كانوا ينادون بالمحافظة على

حسين من شأنه أن يحسن الموقف الاستراتيجي لأمريكا وإسرائيل ويطلق عملية تحول إقليمي من شأنها أن تفيد الولايات المتحدة وإسرائيل على حد سواء. أيد المسؤولون الإسرائيليون والقادة الإسرائيليون السابقون هذه الجهود، لأنهم كانوا متحمسين لرؤية الولايات المتحدة تسقط أحد خصومهم الإقليميين الرئيسيين - الرجل (أي صدام حسين) الذي أطلق صواريخ سكود على إسرائيل في عام 1991.

الضغط من دولة إسرائيل واللوبي اليهودي لم يكن هو العامل الوحيد وراء قرار إدارة بوش بمهاجمة العراق في مارس 2003، لكنه كان عنصرا حاسما. يعتقد العديد من الأمريكيين أن هذه كانت "حربًا من أجل النفط" (أو

لشركات مثل هاليبيرتون Halliburton)، ولكن هناك القليل من الأدلة المباشرة لدعم هذا الادعاء وأدلة كبيرة تلقي بظلال من الشك عليه. يلقي مراقبون آخرون باللوم على المستشارين السياسيين مثل الاستراتيجي الجمهوري كارل روف Karl Rove ويوحي بأن الحرب كانت جزءًا من مخطط ميكافيلي (نسبة لصاحب كتاب الأمير) لإبقاء البلاد في حالة حرب وبالتالي ضمان فترة طويلة من سيطرة الجمهوريين. هذا الرأي له جاذبية حزبية معينة، لكنه يفتقر أيضًا إلى الأدلة الداعمة ولا يمكنه تفسير سبب دعم العديد من الديمقراطيين البارزين لخوض الحرب.

تفسير آخر يرى الحرب كخطوة أولى في جهد جريء لتغيير الشرق الأوسط من خلال نشر الديمقراطية. هذا الرأي صحيح، لكن كما سنرى، ارتبط هذا المخطط الطموح بشكل لا ينفصم بالمخاوف المتعلقة بأمن إسرائيل.

على عكس هذه التفسيرات البديلة، نحن نقترح بشدة بأن الحرب كانت مدفوعة على الأقل في جزء كبير منها بالرغبة في جعل إسرائيل أكثر أمنًا. كان هذا ادعاءً مثيراً للجدل قبل بدء الحرب، لكن الأمر أصبح أكثر

صعوبة الآن بعد أن تحول العراق إلى كارثة إستراتيجية. للتوضيح، اعتقد الأفراد والجماعات التي دفعت إلى الحرب أنها ستفيد كلاً من إسرائيل والولايات المتحدة، وهم بالتأكيد لم يتوقعوا الكارثة التي حدثت في نهاية المطاف. بغض النظر، فإن التفسير الصحيح لدور اللوبي اليهودي في تشجيع الحرب هو في النهاية مسألة دليل، وهناك دليل كبير على أن إسرائيل والجماعات الموالية لإسرائيل – خاصة المحافظون الجدد neoconservative - لعبوا أدوارًا مهمة في قرار الغزو.

قبل فحص الأدلة، من الجدير بالذكر أن عددًا من الأفراد المطلعين والمحترمين قالوا صراحة إن الحرب مرتبطة بأمن إسرائيل. فيليب زيليكوا (يهودي صهيوني) Philip Zelikow، عضوا المجلس الاستشاري للاستخبارات الخارجية للرئيس الأمريكي (2001-2003)، والمدير التنفيذي للجنة تقرير 11 سبتمبر، ومستشار وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس Condoleezza Rice (2005-2006)، قال لجمهور جامعة فيرجينيا في سبتمبر 10-2002، أن صدام لم يكن تهديدًا مباشرًا للولايات المتحدة. وقال إن "التهديد الحقيقي هو" التهديد ضد إسرائيل ". ومضى يقول، "وهذا هو التهديد الذي لا يجرؤ أحد على التحدث باسمه، لأن الأوروبيين لا يهتمون بشدة بهذا التهديد. . .والحكومة الأمريكية لا تريد الاعتماد عليه بشدة في الخطاب، لأنها هذا ضد الرأي العام الشعبي".

الجنرال المتقاعد من الناتو والمرشح السابق للرئاسة ويسلي كلارك Wesley Clark قال في شهر أغسطس عام 2022 أن: "أولئك الذين يفضلون الهجوم على صدام الآن سيخبرونك بصراحة وبسرية أنه ربما يكون صحيحًا أن صدام حسين لا يشكل تهديدًا للولايات المتحدة. لكنهم يخشون أنه في مرحلة ما عندما يكون لديه سلاح نووي أنه قد يقرر استخدامه ضد إسرائيل."

في شهر يناير عام 2003 سأل صحفي ألماني لـ رس ويدجوود Ruth Wedgwood وهو أكاديمي بارز من المحافظين الجدد neoconservative وعضو في مجلس سياسة الدفاع المؤثر (برئاسة ريتشارد بيرل Richard Perle)، لماذا يجب على الصحفي دعم الحرب؟ قال ويدجوود: "يمكنني أن أكون غير مهذب معك."، "وأذكر أن

التقاليد الدينية بينما المحافظون الجدد كانوا من دعاة احترام الحريات الشخصية، فهم أول من قال يمكنك أن تكون محافظا وشاذا في نفس الوقت.

ألمانيا ترتبط بعلاقتها الخاصة مع إسرائيل وأن صدام يمثل تهديدًا وجوديًا لإسرائيل. وهذا صحيح ببساطة". ولم يبرر ويدجوود الحرب بالقول إن العراق يشكل تهديدا مباشرا لألمانيا أو الولايات المتحدة.

قبل أسابيع قليلة من غزو الولايات المتحدة للعراق، كتب الصحفي جو كلاين Joe Klein في مجلة تايم Time، "إن إسرائيل القوية متضمنة إلى حد كبير في الدعاية من أجل للحرب مع العراق. إنه جزء من الحجة التي لا تجرؤ أن تتحدث بها، وهو حلم يتم تغذيته بهدوء من قبل فصيل المحافظين الجدد في إدارة بوش والعديد من قادة الجالية اليهودية الأمريكية."

قدم السناتور السابق إرنست هولينجز Ernest Holling حجة مماثلة في مايو 2004. بعد الاشارة الى ان العراق لم يكن يشكل تهديدا مباشرا للولايات المتحدة، سأل لماذا غزونا ذلك البلد. ـ الجواب الذي قاله "الكل يعلم ذلك" هو "لأننا نريد تأمين صديقتنا إسرائيل". عدد من الجماعات اليهودية في أمريكا على الفور وصفوا هولينجز بأنه معاد-للسامية، مع وصف منظمة ADL[3] تعليقاته بأنها "تذكرنا بأفكار قديمة ومعادية للسامية وعن مؤامرة يهودية للسيطرة على الحكومات والتلاعب بها ". هولينجز رفض بشدة التهمة، مشيرًا إلى أنه كان لفترة طويلة دعمًا قويًا لإسرائيل وأنه كان ببساطة يذكر ما هو واضح، وليس يصطنع ادعاء كاذبا. وطالب منتقديه "بالاعتذار عن حديثهم حول معاداة السامية ".

حفنة من الشخصيات العامة الأخرى - باتريك بوكانان، وأرنود دي بورش غراف ، وموررين دود ، وجورجي آن جبير ، وغاري هارت ، وكريس ماثيوز ، وعضو الكونغرس جيمس بي موران (ديمقراطي ولاية فرجينيا)، روبرت نوفاك، وتيم روسيرت، والجنرال أنتوني زيني – (Patrick Buchanan, Arnaud de Borch- grave, Maureen Dowd, Géorgie Anne Geyer, Gary Hart, Chris Matthews, Congressman James P. Moran (D-VA), Robert Novak, Tim Russert, and General Anthony Zinni) إما قالوا أو ألمحوا بقوة إلى أن المتشددين المؤيدين لإسرائيل في الولايات المتحدة هم المحركون الرئيسيون وراء حرب العراق.

في حالة نوفاك Robert Novak، أشار قبل وقت طويل من وقوع الحرب على أنها "حرب شارون" وما زال يقول ذلك إلى اليوم." أنا مقتنع،" قال في أبريل 2007، "أن إسرائيل قدمت مساهمة كبيرة لقرار الشروع في هذه الحرب.

أعلم أنه عشية الحرب، قال شارون، في محادثة مغلقة مع أعضاء مجلس الشيوخ، إنهم إذا نجحوا في التخلص من صدام حسين، فسيحل ذلك مشاكل إسرائيل الأمنية."

العلاقة بين إسرائيل وحرب العراق كانت معترف به على نطاق واسع قبل وقت طويل من بدء القتال. عندما بدأ احتمال الغزو الأمريكي يهيمن على العناوين الرئيسية في خريف عام 2002، كتب الصحفي مايكل كينسلي Michael Kinsley أن "عدم وجود نقاش عام حول دور إسرائيل في الحرب. . . هو الفيل الذي يضرب به المثل في الغرفة الجميع يراه، ولا أحد يذكره". ولاحظ أن سبب هذا التردد هو الخوف من أن يصنف المرء على أنه معاد-للسامية.

قبل أسبوعين من بدء الحرب ذكر ناثانوذكر جوتمان Nathan Guttman في صحيفة هآرتس أن "الأصوات التي تربط إسرائيل بالحرب ترتفع بشكل متزايد. يقال إن الرغبة في مساعدة إسرائيل هي السبب الرئيسي لقيام الرئيس جورج بوش بإرسال جنود أمريكيين إلى حرب لا داعي لها في الخليج. وتأتي هذه الاصوات من كل الجهات ".

بعد أيام قليلة، كتب بيل كيلرBill Keller ، وهو الآن المحرر التنفيذي لصحيفة نيويورك تايمز، "إن فكرة أن هذه الحرب تدور حول إسرائيل هي فكرة مستمرة ومقبولة على نطاق أوسع مما تستطيع تخيله".

أخيرًا، في مايو 2005، بعد عامين من بدء الحرب أقر بري جاكوبز Barry Jacobs عضوا المؤسسة الأمريكية لليهود AJC American Jewish Committee أن اعتقاد أن دولة إسرائيل والمحافظون الجدد

[3] منظمة الـ ADL أكبر منظمة مؤثرة في الرأي العام في أمريكا وفي الغرب، وأسست في 1914م خلف قضية المغتصب Leo Frank الشهيرة، والآن هي أهم منظمة على ساحة الإنترنت وتعمل مع شركات الإنترنت لحجب الأصوات التي تعتبرهم ضد السامية.

neoconservative هم المسؤولون عن جر أمريكا للحرب في العراق هو الاعتقاد السائد في مختلف الدوائر الاستخباراتية الأمريكية.

قد يجادل البعض بالتأكيد بأن أي شخص يشير إلى أن المخاوف بشأن أمن إسرائيل كان لها تأثير كبير على قرار إدارة بوش بغزو العراق هو إما معاد-للسامية أو يهودي يكره نفسه. مثل هذه الاتهامات يمكن التنبؤ بها وهي خطأ في نفس الوقت. كما سنبينه الآن، وهناك أدلة كثيرة على أن إسرائيل واللوبي اليهودي لعبوا أدوارًا حاسمة في جعل تلك الحرب تحدث. هذا لا يعني التأكيد على أن إسرائيل أو اللوبي "يسيطر" السياسة الخارجية للولايات المتحدة[4]؛ إنه ببساطة القول إنهم ضغطوا بنجاح من أجل مجموعة معينة من السياسات وكانوا قادرين، في سياق معين، على تحقيق أهدافهم. لو كانت الظروف مختلفة، لما تمكنوا من حمل الولايات المتحدة على خوض الحرب. لكن بدون جهودهم، على الأرجح لما كانت أمريكا في العراق اليوم.

إسرائيل وحرب العراق

لطالما اعتبرت إسرائيل العراق عدوًا، لكنها أصبحت مهتمة بالعراق في منتصف السبعينيات، عندما وافقت فرنسا على تزويد صدام بمفاعل نووي. لسبب وجيه، كانت إسرائيل قلقة من أن العراق قد يستخدم المفاعل كنقطة انطلاق لبناء أسلحة نووية. ورداً على هذا التهديد، في عام 1981، قصف الإسرائيليون مفاعل أوزيراك Osirak قبل أن يصبح جاهزًا. بالرغم من هذه النكسة، واصل العراق العمل على برنامجه في مواقع متفرقة وسرية. يساعد هذا الوضع في تفسير دعم إسرائيل المتحمس لحرب الخليج الأولى عام 1991. لم يكن همها الرئيسي دفع القوات العراقية للخروج من الكويت ولكن كان الإطاحة بصدام وخاصة التأكد من تفكيك البرنامج النووي العراقي.

على الرغم من أن الولايات المتحدة لم تطيح بصدام حسين من السلطة، إلا أن نظام التفتيش التابع للأمم المتحدة الذي فُرض على بغداد بعد الحرب قلل - لكنه لم يقضي على- مخاوف إسرائيل. في الواقع، ذكرت صحيفة "هآرتس" في 26 شباط (فبراير) 2001 أن "شارون يعتقد أن العراق يشكل تهديدًا للاستقرار الإقليمي أكثر من إيران، بسبب السلوك الخاطئ وغير المسؤول لنظام صدام حسين."

بعد تعليقات شارون بقليل في أوائل 2002 أصبح من الواضح أن إدارة بوش تعد لحرب أخرى ضد العراق، حينها أخبر بعض القادة الإسرائيليين المسؤولين الأمريكيين أنهم يعتقدون أن إيران تشكل تهديدًا أكبر. هؤلاء على أية حال لم يحاول قط إقناع إدارة بوش عدم محاولة إسقاط نظام صدام. وكذلك القادة الإسرائيليون الذين كانوا دائما غير مترددين في تقديم النصائح لنظرائهم الأمريكيين لم يحاولوا قط أيضا إقناع إدارة بوش عدم خوض الحرب ضد العراق. كذلك ولا الحكومة الإسرائيلية حاولت حشد مؤيديها في الولايات المتحدة للضغط ضد الغزو. على العكس من ذلك، كان القادة الإسرائيليون قلقين فقط من أن الولايات المتحدة قد تغفل عن التهديد الإيراني في سعيها خلف صدام. وبمجرد أن أدركوا أن إدارة بوش كانت تؤيد خطة أكثر جرأة، خطة تدعو إلى الانتصار السريع في العراق ثم التعامل مع إيران وسوريا، بدأوا في الضغط بقوة من أجل غزو أمريكي.

باختصار، لم تبدأ إسرائيل حملة الحرب على العراق. كما سيتضح، وكان المحافظون الجدد neoconservatives في الولايات المتحدة هم من تبنى هذه الفكرة وكانوا مسؤولين بشكل أساسي عن دفعها إلى الأمام في أعقاب الحادي عشر من سبتمبر. لكن إسرائيل انضمت إلى قوات المحافظين للمساعدة في تسويق الحرب لإدارة بوش والشعب الأمريكي، قبل أن يتخذ الرئيس القرار النهائي بالغزو. في الواقع، كان القادة الإسرائيليون قلقين باستمرار في الأشهر التي سبقت الحرب من أن الرئيس بوش قد يقرر عدم خوض الحرب بعد كل شيء، وقد فعلوا ما في وسعهم لضمان عدم برودة بوش بشأن الحرب.

---

[4] قلتُ بلى فالإمبراطورية الأمريكية ماهي إلا محمية يهودية صهيونية ولكن الكاتب يخاف من أن يذكر الحقائق كما هي، فمن المعلوم أن الإدارة الأمريكية ما هي إلا محمية صهيونية، وأن الصهاينة واليهود يسيطرون كل صغيرة وكبيرة في الإدارة وفي المجتمع الأمريكي بشكل عام بما في ذلك السياسات الاجتماعية والداخلية والخارجية، وهذا سببه أمور كثيرة وأهمها هي امتلاكهم للبنوك التي تصدر الدولار والديون وأهمها النبك المركزي.

بدأ الإسرائيليون جهودهم في ربيع عام 2002، قبل بضعة أشهر من بدء إدارة بوش حملتها الخاصة لبيع حرب العراق للجمهور الأمريكي. جاء رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyahu إلى واشنطن في منتصف أبريل والتقى بأعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي والـ معدلين في صحيفة واشنطن بوست، من بين أمور أخرى، لتحذيرهم من أن صدام كان يطور أسلحة نووية يمكن إطلاقها ضد الوطن الأمريكي عن طريق حملها في حقائب ظهرية أو محملة في حقائب يدوية.

بعد أسابيع قليلة، قال رعنان جيسن Ra'anan Gissen، المتحدث باسم شارون، لمراسل كليفلاند Cleveland أنه "إذا لم يوقف صدام حسين الآن، بعد خمس سنوات من الآن أو في وست سنوات من الآن، فسنضطر إلى التعامل مع عراق مسلح. بأسلحة نووية، مع عراق لديه أنظمة إيصال لأسلحة الدمار الشامل."

في منتصف شهر مايو، ظهر شيمون بيريز Shimon Peres، رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق الذي يشغل الآن منصب وزير الخارجية، على قناةCNN ، حيث قال إن "صدام حسين خطير مثل بن لادن" والولايات المتحدة "لا يمكنها الانتظار" بينما هو يبني ترسانة نووية. وبدلاً من ذلك، أصر بيريز على أن الوقت قد حان لإسقاط الزعيم العراقي.

بعد شهر، كتب إيهود باراك Ehud Barak، رئيس وزراء إسرائيلي سابق، مقالة رأي في صحيفة واشنطن بوست يوصي فيها إدارة بوش "أولاً وقبل كل شيء، بالتركيز على العراق وإزاحة صدام حسين. وبمجرد ذهابه إلى هناك سيكون عالما عربيا مختلفا."

في 12 آب (أغسطس) 2002، قال شارون للجنة الشؤون الخارجية في الكنيست إن العراق "هو الخطر الأكبر الذي يواجه إسرائيل". ثم، في 16 أغسطس، قبل عشرة أيام من بدء نائب الرئيس تشيني Cheney الحملة للحرب على العراق بخطاب أمام مؤتمر قدامى المحاربين في الحروب الخارجية في ناشفيل، تينيسي، Nashville, Tennessee العديد من الصحف وشبكات التلفزيون والإذاعة بما في ذلك هآرتس وواشنطن بوست وسي إن إن وسي بي إس نيوز Haaretz, the Washington Post, CNN, and CBS News أن إسرائيل تحث الولايات المتحدة على عدم تأخير الهجوم على العراق.

وقال شارون لإدارة بوش إن تأجيل العملية "لن يخلق بيئة أكثر ملاءمة للعمل في المستقبل". وقال رعنان جيسن Ra'anan Gissen إن تأجيل الهجوم "لن يمنح (صدام) سوى فرصة أكبر لتسريع برنامجه لأسلحة الدمار الشامل". وقال الوزير بيريز Minister Peres لشبكة CNN إن "المشكلة اليوم ليست إذا، ولكن متى." وقال إن تأجيل الهجوم سيكون خطأ فادحا لأن صدام سيكون أفضل تسليحا في المستقبل.

وعرض نائب وزير الدفاع ويليام شيري Weizman Shiry وجهة نظر مماثلة، محذرا من أنه "إذا لم يفعل الأمريكيون ذلك الآن، فسيكون من الصعب القيام به في المستقبل. في غضون عام أو عامين، سيواصل صدام حسين تطوير أسلحة الدمار الشامل". ربما كانت شبكة سي بي إس هي الأفضل لتصوير ما كان يجري في العنوان الرئيسي لقصتها: "إسرائيل للولايات المتحدة: لا تؤخروا الهجوم على العراق."

حرص كل من بيريز وشارون على التأكيد على أنهما "لا يريدان أن يُنظر إليهما على أنهما يحثان الولايات المتحدة على التصرف وأن أمريكا يجب أن تتصرف وفقًا لتقديرها."

القادة الإسرائيليون - والعديد من أنصارهم في الولايات المتحدة - كانوا على دراية تامة بأن بعض المعلقين الأمريكيين، وأبرزهم باتريك بوكانان Patrick Buchanan قد تكلم وجادل على أن حرب الخليج 1991 كانت "حرب وزارة الدفاع الإسرائيلية وركنها المطيع في الولايات المتحدة."

إن إنكار أي مسؤولية في التسبب بالحرب له معنى سياسي إيجابي، ولكن ليس هناك شك - بناءً على تعليقاتهم العامة - أنه بحلول أغسطس 2002، فإن رأى قادة إسرائيل كان أن صدام يشكل تهديدًا للدولة اليهودية وكانوا يشجعون إدارة بوش على شن حرب لإزالة صدام من السلطة.

كما ذكرت تقارير إخبارية في نفس الوقت تقريبًا أن "مسؤولي المخابرات قد جمعوا أدلة على أن العراق يسرع جهوده لإنتاج أسلحة بيولوجية وكيماوية". قال بيريز لشبكة" :CNN نعتقد ونعرف أنه [صدام] في طريقه للحصول على خيار نووي." وذكرت صحيفة "هآرتس" أن صدام أعطى "أمرا.. لهيئة الطاقة الأسبوع الماضي لتسريع عملها." كانت إسرائيل هي من تزود واشنطن بهذه التقارير المقلقة حول برامج أسلحة الدمار الشامل العراقية في وقت بلغ فيه "التنسيق الاستراتيجي بين إسرائيل والولايات المتحدة أبعادًا غير مسبوقة" حسب تقدير شارون. بعد الغزو والكشف عن عدم وجود أسلحة دمار شامل في العراق، أصدرت لجنة المخابرات بمجلس الشيوخ والكنيست الإسرائيلي تقارير منفصلة تكشف أن الكثير من المعلومات الاستخباراتية التي قدمتها إسرائيل لإدارة بوش كانت زائفة. على حد تعبير جنرال إسرائيلي متقاعد، "كانت المخابرات الإسرائيلية شريكا كاملاً لتقديم الصورة التي قدمتها المخابرات الأمريكية والبريطانية فيما يتعلق بقدرات العراق غير التقليدية (أي النووية)".

بطبيعة الحال، فإن إسرائيل ليست الدولة الأولى التي تدفع دولة أخرى لاتخاذها إجراء مكلفا أو محفوفا بالمخاطر نيابة عنها. الدول التي تواجه مخاطر خارجية تحاول في كثير من الأحيان لتمرير المسؤولية إلى الآخرين، والولايات المتحدة لديها تقليد غني من السلوك المماثل نفسه. لقد دعمت صدام حسين في الثمانينيات من أجل المساعدة في احتواء التهديد من إيران الثورية، وسلحت ودعمت المجاهدين الأفغان عقب الغزو السوفيتي لتلك الدولة عام 1979. ولم ترسل الولايات المتحدة قواتها لخوض هذه الحروب. انما فعلته هو ما في وسعها لمساعدة الآخرين الذين لديهم أسبابهم الخاصة للقتال ليقوموا برفع الأعباء الثقيلة بالنيابة عنها.

نظرًا لرغبتهم المفهومة في جعل الولايات المتحدة تقضي على خصم إقليمي، فليس من المستغرب أن يشعر القادة الإسرائيليون بالأسى عندما قرر الرئيس بوش السعي للحصول على تفويض من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة للحرب في سبتمبر 2002، بل وأكثر قلقًا عندما وافق صدام على السماح لمفتشي الأمم المتحدة العودة الى العراق. أزعجت هذه التطورات قادة إسرائيل لأنها بدت وكأنها تقلل من احتمالات الحرب. وقال وزير الخارجية بيريز Peres للصحفيين، "إن الحملة ضد صدام حسين أمر لا بد منه. وعمليات التفتيش والمفتشون أمر جيد بالنسبة للأشخاص المحترمين، ولكن الأشخاص المخادعين يمكنهم التغلب بسهولة على عمليات التفتيش والمفتشين."

في زيارة لموسكو في وقت متأخر من سبتمبر، أوضح شارون للرئيس الروسي فلاديمير بوتين الذي كان يقود مهمة عمليات التفتيش الجديدة، أن الأوان قد فات بالنسبة للمفتشين كي يحدثوا أي تأثير. أصبح بيرس Peres محبطًا للغاية من عملية الأمم المتحدة في الأشهر القليلة التالية لدرجة أنه انتقد فرنسا في منتصف فبراير 2003 من خلال التشكيك في وضعها كعضو دائم في مجلس الأمن.

سعي إسرائيل الحثيث لتقليل من عمل المفتشين وضعها في موقف محرج، كما أوضح مارك بيرلمان Marc Perelman في مقال في صحيفة Forward في منتصف سبتمبر 2002 حيث قال: "قبول صدام حسين المفاجئ لعمليات تفتيش الأمم المتحدة غير المشروطة" وضع إسرائيل في موقف ساخن هذا الأسبوع ، مما دفعها إلى العلن باعتبارها الدولة الوحيدة التي تدعم بنشاط هدف تغيير النظام في العراقي.

من خلال المضي قدمًا في مواجهة دبلوماسية في الأمم المتحدة، صور الإسرائيليون صدام بأبشع العبارات، وغالبًا ما شبهوه بأدولف هتلر. زعموا أنه إذا لم يقف الغرب في وجه العراق، فإنه سيرتكب نفس الخطأ الذي ارتكبه مع ألمانيا النازية في الثلاثينيات. كتب شلومو أفينيري Shlomo Avineri، الباحث الإسرائيلي البارز، في صحيفة لوس أنجلوس تايمز أن "كل من يدين استرضاء ألمانيا في الثلاثينيات من القرن الماضي يجب أن يفكر طويلاً وبشدة فيما إذا كان الفشل في التحرك اليوم ضد العراق سيُنظر إليه يومًا ما بنفس الطريقة". كان التضمين واضحًا: أي شخص عارض غزو العراق - أو، كما رأينا، دفع إسرائيل للتفاوض مع الفلسطينيين - كان مسترضيًا، تمامًا مثل نيفيل تشامبرلين Neville Chamberlain، ولا بد أن يُنظر إليه على هذا النحو في أجيال المستقبل. كانت صحيفة "جيروزاليم بوست Jerusalem Post " متشددة بشكل خاص، وكثيراً ما كانت تنشر مقالات افتتاحية وإفتتاحيات تحابي الحرب ونادراً ما تنشر مقالات تعارضها. في الواقع، لقد ذهب الأمر بها إلى حد الافتتاح بأن "الإطاحة بصدام هي الركيزة الأساسية للحرب على الإرهاب، والتي بدونها يستحيل البدء بجدية، ناهيك عن الفوز".

ورددت شخصيات عامة إسرائيلية أخرى صدى دعوة بيريز وشارون للحرب بدلاً من الجدل الدبلوماسي. كتب رئيس الوزراء السابق إيهود باراك مقالاً في صحيفة نيويورك تايمز في أوائل سبتمبر 2002 زعم فيه أن " برنامج صدام حسين للأسلحة النووية يوفر الحاجة الملحة لإزالته ". ومضى محذرا من أن "الخطر الأكبر الآن يكمن في التراخي". وقد نشر سلفه، بنيامين نتنياهو، مقالًا مشابهًا بعد أسابيع قليلة في صحيفة وول ستريت جورنال Wall Street Journal بعنوان "قضية إسقاط صدام". أعلن نتنياهو، "اليوم لا شيء أقل من تفكيك نظامه سيفي بالغرض"، مضيفًا "أعتقد أنني أتحدث باسم الغالبية العظمى من الإسرائيليين في دعم الضربة الوقائية ضد نظام صدام" الذي زعم أنه كانت "يحاول بشكل محموم الحصول على أسلحة نووية".

امتد تأثير نتنياهو بالطبع إلى ما هو أبعد من كتابة مقالات الرأي والظهور على شاشات التلفزيون. فهو بعد أن ذهب إلى المدرسة الثانوية والكلية وتخرج في الولايات المتحدة، فهو يتحدث الإنجليزية بطلاقة وليس فقط على دراية بكيفية عمل النظام السياسي الأمريكي ولكنه يعمل بمهارة فيه. لديه علاقات وثيقة مع المحافظين الجدد داخل وخارج الإدارة، ولديه اتصالات واسعة في الكابيتول هيل Capitol Hill، حيث تحدث أو أدلى بشهادته في مناسبات عديدة. باراك Barak أيضا على اتصال جيد بصانعي السياسات والسياسيين وخبراء الأمن والمحللين الأمريكيين.

لم تتضاءل حماس الحكومة الإسرائيلية للحرب في الأشهر السابقة من بدأ القتال. نشرت صحيفة "هآرتس" Haartz، على سبيل المثال، قصة في 17 فبراير 2003 بعنوان "الجيش الإسرائيلي المتحمّس ينتظر الحرب في العراق"، جاء فيه أن "القيادة العسكرية والسياسية الإسرائيلية تتوق إلى الحرب في العراق". بعد عشرة أيام كتب جيمس بينيت James Bennet قصة في صحيفة نيويورك تايمز بعنوان "إسرائيل تقول إن الحرب على العراق ستفيد المنطقة". نشرت صحيفة Forward مقالاً في 7 مارس 2003 بعنوان "القدس تضطرب مع تأخر الحرب الأمريكية في العراق"، والتي أوضحت أن قادة إسرائيل كانوا يأملون في الحرب عاجلاً وليس آجلاً.

بالنظر إلى كل هذا النشاط، فإنه ليس من المستغرب أن يروي بيل كلينتون Bill Clinton في عام 2006 أن "كل سياسي إسرائيلي أعرفه" يعتقد أن صدام حسين كان يمثل تهديدًا كبيرًا لدرجة أنه يجب إزالته حتى لو لم يكن لديه أسلحة دمار شامل. ولم تكن الرغبة في الحرب مقتصرة على قادة إسرائيل. بصرف النظر عن الكويت، التي احتلها صدام عام 1990، كانت إسرائيل الدولة الوحيدة خارج الولايات المتحدة حيث فضل غالبية السياسيين والجمهور الحرب. أظهر استطلاع للرأي أجري في أوائل عام 2002 أن 58 في المائة من اليهود الإسرائيليين يعتقدون أن "على إسرائيل أن تشجع الولايات المتحدة على مهاجمة العراق". استطلاع آخر أجري بعد عام في فبراير 2003 وجد ذلك 77.5٪ من اليهود الإسرائيليين أرادوا أن تغزو الولايات المتحدة العراق. حتى في بريطانيا برئاسة توني بلير، أظهر استطلاع للرأي تم إجراؤه قبل الحرب مباشرة أن 51 في المائة من المستجيبين عارضوها، بينما أيدها 39 في المائة فقط.

دفع هذا الوضع غير المعتاد جدعون ليفي Gideon Levy من صحيفة هآرتس إلى التساؤل، "لماذا تظاهر 50000 شخص في إنجلترا ضد الحرب في العراق، بينما لم يتظاهر أحد في إسرائيل؟ لماذا لا يوجد في إسرائيل نقاش عام حول ما إذا كان الحرب ضرورية؟ وتابع: "إسرائيل هي الدولة الوحيدة في الغرب التي يؤيد قادتها الحرب بلا تحفظ ولا يوجد رأي بديل فيها".

أدى حماس إسرائيل للحرب في النهاية إلى قيام بعض حلفائها في أمريكا بإخبار المسؤولين الإسرائيليين بالتخفيف من حدة خطابهم المتشدد، خشية أن تبدو الحرب وكأنها خاضت من أجل إسرائيل. في خريف عام 2002، على سبيل المثال، قامت مجموعة من المستشارين السياسيين الأمريكيين المعروفين باسم مشروع إسرائيلIsrael Project بتوزيع مذكرة من ست صفحات على الإسرائيليين الرئيسيين والقادة المؤيدين لإسرائيل في الولايات المتحدة. كانت المذكرة بعنوان "الحديث عن العراق" وكان القصد منها أن تكون دليلاً للتصريحات العامة حول الحرب. "إذا كان هدفك هو تغيير النظام، فيجب أن تكون أكثر حرصًا في لغتك بسبب رد الفعل العكسي المحتمل. لا تريد أن يعتقد الأمريكيون أن الحرب على العراق تخاض من أجل حماية إسرائيل بدلاً من حماية أمريكا ".

قلقاً من حدوث هذا، وطبقاً لعدة تقارير، أخبر شارون Sharon الدبلوماسيين والسياسيين الإسرائيليين بالتزام الصمت بشأن حرب محتملة في العراق، وبالتأكيد عدم قول أي شيء يجعل الأمر يبدو أن إسرائيل كانت تضغط على إدارة بوش للإطاحة بصدام. وكان الزعيم الإسرائيلي قلقًا من التصور المتزايد بأن إسرائيل كانت تدعو إلى غزو أمريكي للعراق. في الواقع، كانت إسرائيل كذلك؛ لم ترغب في أن يكون موقفها معروفًا على نطاق واسع.

اللوبي (اليهودي) وحرب العراق

كانت القوة الدافعة وراء حرب العراق عبارة عن مجموعة صغيرة من المحافظين الجدد neoconservatives الذين فضلوا منذ فترة طويلة الاستخدام النشط للقوة الأمريكية لإعادة تشكيل المناطق الحساسة في العالم. لقد دافعوا عن الإطاحة بصدام منذ منتصف التسعينيات واعتقدوا أن هذه الخطوة ستفيد الولايات المتحدة وإسرائيل على حد سواء. ضمت هذه المجموعة مسؤولين بارزين في إدارة بوش مثل بول وولفويتز Paul Wolfowitz ودوغلاس فيث Douglas Feith، الرجل الثاني والرجل الثالث المدنيين في البنتاغون. ريتشارد بيرل Richard Perle، كينيث أدلمان Kenneth Adelman، وجيمس وولسي James Woolsey، أعضاء مجلس سياسة الدفاع المؤثر؛ سكوتر ليبي Scooter Libby نائب رئيس ديوان الرئيس. جون بولتون John Bolton، وكيل وزارة الخارجية للحد من التسلح والأمن الدولي، ومساعده الخاص ديفيد ورمسر David Wurmser؛ وإليوت أبرامز Elliott Abrams، المسؤول عن سياسة الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي. كما تضمنت مجموعة من الصحفيين المشهورين مثل روبرت كاجان Robert Kagan وتشارلز كراوثامر Charles Krauthammer وويليام كريستول William Kristol وويليام سافيرWilliam Safire.

اعتبر الإسرائيليون وحلفاؤهم الأمريكيون تعيين عدد من المحافظين الجدد في مناصب سياسية عليا تطوراً إيجابياً للغاية. عندما تم اختيار وولفويتز Wolfowitz لمنصب نائب وزير الدفاع في كانون الثاني (يناير) 2001، ذكرت صحيفة جيروزاليم بوست Jerusalem Post أن "المجتمعات اليهودية والمؤيدة لإسرائيل تضطرب من الفرحة". في ربيع عام 2002، أشارت إصدار صحيفة Forward إلى أن وولفويتز "معروف بأنه أكثر الأصوات تشددًا في تأييد إسرائيل في الإدارة"، وقد اختارته لاحقًا في عام 2002 كأول من بين خمسين وجهاً "دعموا بوعي النشاطات اليهودية". في نفس الوقت تقريبًا، منحته JINSA جائزة Henry M Jackson لدوره الفعال في لترويج أت تكون علاقة قوية بين أمريكا وإسرائيل، واعتبرته صحيفة Jerusalem Post "أنه يقدم مصلحة إسرائيل بشدة" وسمت رجل العام في 2003.

دور فيث Feith (Douglas Feith) في تشكيل قضية الحرب يجب أن يُفهم أيضًا في سياق التزامه الطويل الأمد بإسرائيل وارتباطه السابق بالجماعات المتشددة هناك. لدى فيث علاقات وثيقة مع المنظمات الرئيسية في اللوبي مثل المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي JINSA Jewish Institute for National Security Affairs والمنظمة الصهيونية الأمريكية Zionist Organization of America ZOA. كتب مقالات في التسعينيات تدعم المستوطنات ويقول إن على إسرائيل الاحتفاظ بالأراضي المحتلة. والأهم من ذلك، كما أشرنا في الفصل الرابع، أن فيث كان مؤلفًا مشاركًا، جنبًا إلى جنب مع بيرل Perle ووارمسر Wurmser، لتقرير "كلين بريك " Clean Break"" الشهير في يونيو 1996. كُتب تحت رعاية مركز أبحاث إسرائيلي يميني لحضور الوزراء الإسرائيلي القادم الوزير بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyahu، أوصى التقرير، من بين أمور أخرى، بأن يركز نتنياهو على إزاحة صدام حسين من السلطة في العراق - وهو هدف إستراتيجي إسرائيلي مهم بحد ذاته. كما دعا إسرائيل إلى اتخاذ خطوات لإعادة ترتيب الشرق الأوسط بأكمله. لم يطبق نتنياهو نصيحتهم، لكن سرعان ما دعا فيث وبيرل وورمسر إلى أن تسعى إدارة بوش لتحقيق نفس الأهداف. دفع هذا الوضع كاتب العمود في صحيفة "هآرتس" أكيفا إلدار Akiva Eldar إلى التحذير من أن فيث وبيرل "يسيران على خط رفيع بين ولائهم للحكومات الأمريكية ... والمصالح الإسرائيلية". كما لاحظ جورج باكر George Packer في The Assassins' Gate، "بالنسبة لفيث Feith وورمسر Wurmser ، ربما كان أمن إسرائيل هو المحرك الرئيسي" وراء دعمهم للحرب.

كان جون بولتون John Bolton وسكوتر ليبي Scooter Libby من أشد المؤيدين لإسرائيل أيضًا. بصفته سفير أمريكا لدى الأمم المتحدة، دافع بولتون باستمرار وحماس عن مصالح إسرائيل. لدرجة أنه في الواقع، في مايو 2006، وصف السفيرُ الإسرائيلي لدى الأمم المتحدة مازحًا بولتون بأنه "عضو سري في فريق إسرائيل في الأمم المتحدة". ومضى يقول إن "السر قد انكشف. فنحن لسنا في الحقيقة خمسة دبلوماسيين فقط. بل نحن ستة بما في ذلك بولتون". عندما أصبحت إعادة تعيين بولتون المثير للجدل لهذا المنصب قضية في وقت لاحق من عام 2006، أثارت الجماعات الموالية لإسرائيل رأي بولتون. فيما يتعلق بليبي Libby، ذكرت صحيفة Forward عندما غادر البيت الأبيض في خريف 2005 أن "المسؤولين الإسرائيليين أحبوا ليبي. ووصفوه بأنه جهة اتصال مهمة يمكن الوصول إليها، ومهتم حقًا بالقضايا المتعلقة بإسرائيل ومتعاطف جدًا مع قضيتهم".

المحافظون الجدد Neoconservatives خارج إدارة بوش مخلصون تمامًا لإسرائيل مثلهم مثل مواطنيهم في الحكومة. خذ بعين الاعتبار التعليقات التي أدلى بها كاتب العمودي (شخص يكتب عمودا مخصصا له في صحيفة) تشارلز كراوثامر Charles Krauthammer في القدس في 10 حزيران (يونيو) 2002، بعد حصوله على جائزة Guardian of Zion من جامعة بار إيلان Bar-Ilan. كان موضوع حديثه هو وصف مشاركة إسرائيل في عملية أوسلو للسلام كمثال للماسيانية messianic [5] اليهودية المضللة. في ملاحظاته، عرّف كراوثامر Krauthammer نفسه بصراحةً بأنه مع إسرائيل - في الواقع، على أنه إسرائيلي. وفي وقت من الأوقات، لاحظ أنه "منذ خمسة وثلاثين عامًا من اليوم انتهت حرب الأيام الستة. بدا الأمر وكأنه حقبة جديدة.. أعيد توحيد القدس، وأصبح جبل الهيكل ملكًا لنا، إسرائيل". ومضى يقول، "أطروحتي الليلة هي أن العديد من مشاكلنا اليوم، كشعب ودولة يهودية، متجذرة على وجه التحديد في هذا الحماس الماسياني الجديد". كان كراوثامر، مثله مثل جميع نقاد المحافظين الجدد تقريبًا، مدافعًا بشراسة عن الحرب العراقية حتى أيام الغزو.

على الرغم من أن العديد من المحافظين الجدد البارزين كانوا أمريكيين يهود ذوي ارتباطات قوية بإسرائيل، إلا أن بعض الأعضاء القياديين الداعين للحرب لم يكونوا كذلك. بالإضافة إلى جون بولتون، فإن الموقعين على الرسائل المفتوحة إلى الرئيسين بوش وكلينتون برعاية مشروع القرن الأمريكي الجديد New American Century شملوا من غير اليهود[6] مثل مدير وكالة المخابرات المركزية السابق جيمس وولسي James Woolsey ووزير التعليم السابق ويليام بينيت William Bennett. كان وولسي مهووسًا بشكل خاص بإثبات أن صدام كان مسؤولاً عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وقد كرس جهدًا كبيرًا في محاولة تأكيد أن محمد عطا، أحد خاطفي الطائرات في 11 سبتمبر، قد التقى مع عميل من استخبارات عراق في براغ Prague (عاصمة التشيك). كانت القصة غير قابلة للتصديق ويعتقد على نطاق واسع أنها كذب مختلق، لكن وولسي ونائب الرئيس ديك تشيني Dick Cheney دعما بشدة الحرب.

لم يكن المحافظون الجدد neoconservatives هم الجزء الوحيد من اللوبي اليهودي الذي يدفع باتجاه الحرب مع العراق. فقد قدم قادة المنظمات الرئيسية الموالية لإسرائيل أصواتهم لحملة الحرب. بالطبع، العديد من المحافظين الجدد أنفسهم لديهم علاقات وثيقة مع هذه المنظمات. في منتصف أيلول (سبتمبر) 2002، عندما كان الترويج للحرب على قدم وساق، كتبت ميشيل غولدبرغ Michelle Goldberg في Salon أن "الجماعات والقادة اليهود السائدون هم الآن من بين أقوى المؤيدين للغزو الأمريكي لبغداد". تمت الإشارة إلى هذه النقطة نفسها في افتتاحية Forward كُتبت بعد سقوط بغداد بوقت طويل: "بينما حاول الرئيس بوش بيع ... الحرب في العراق، احتشدت المنظمات اليهودية الأكثر أهمية في أمريكا كوحدة واحدة للدفاع عنه. في بيان بعد بيان شدد قادة المجتمع على ضرورة تخليص العالم من صدام حسين وأسلحة الدمار الشامل التي بحوزته. وذهبت بعض الجماعات إلى أبعد من ذلك، بحجة أن عزل الرئيس العراقي سيمثل خطوة مهمة نحو إحلال السلام في الشرق الأوسط، وكسب حرب

---

[5] الماسيانية هي عقيدة يهودية تدعي أنه بعد أن يأتي مسيحهم فإنه اليهود سينعمون بألف سنة من السلام والوفرة وبقية الشعوب ستكون عبيدا لهم.

[6] العملاء لا تأثير يذكر لهم

أمريكا على الإرهاب". وتتابع الافتتاحية قائلة إن" الاهتمام بسلامة إسرائيل قد أخذ في الحسبان بحق مداولات الجماعات اليهودية الرئيسية (في ترويجها لحرب العراق)".

على الرغم من أنه لم يكن هناك أي معارضة للحرب بين المنظمات اليهودية الرئيسية، كان هناك خلاف حول مدى علوا صوتهم في دعم الحرب. كان الشغل الشاغل الرئيسي هو الخوف من أن الدعم الصريح للغاية للغزو سيجعل الأمر يبدو وكأن الحرب تخاض من أجل إسرائيل. ومع ذلك، صوت المجلس اليهودي للشؤون العامة Jewish Council for Public Affairs ومؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الكبرى Conference of

Presidents of Major American Jewish Organizations لدعم استخدام القوة ضد العراق ("كملاذ أخير") في خريف عام 2002، وذهب بعض الشخصيات البارزة في اللوبي إلى أبعد من ذلك. من بين أكثر مؤيدي الغزو صراحة كان مورتيمر زوكرمان Mortimer Zuckerman، رئيس مؤتمر الرؤساء، الذي أدلى ببيانات عامة متكررة للترويج للحرب. في أواخر أغسطس 2002، كتب في US News & World Report، حيث يشغل منصب رئيس التحرير، "أولئك الذين يتوقعون نتائج رهيبة إذا حاولنا عزل صدام يرفضون ببساطة أن يفهموا - كما يفهمه الرئيس بوش بوضوح - أننا إذا اخترنا العيش في كابوس، سيزداد الأمر سوءًا. بل أسوأ بكثير. وأفضل دواء هنا، بعبارة أخرى، هو الطب الوقائي".

كان جاك روزين Jack Rosen، رئيس الكونجرس اليهودي الأمريكي، والحاخام ديفيد سابرستين David Saperstein، رئيس مركز العمل الديني لليهودية الإصلاحية Religious Action Center of Reform Judaism، من صقور الحرب المتحمسين أيضًا. سابرستين، المعروف بآرائه السياسية الليبرالية والذي وصفته صحيفة واشنطن بوست بأنه "اللوبي الديني المثالي في الكابيتول هيل"، قال في سبتمبر 2002: "إن المجتمع اليهودي يود أن يرى حلاً قوياً للتهديد الذي يشكله صدام حسين". جويش ويك Jewish Week، وهي صحيفة مؤثرة في منطقة نيويورك، أيدت الحرب أيضًا. وكتب جاري روزنبلات Gary Rosenblatt، محررها وناشرها، افتتاحية في منتصف - كانون الأول (ديسمبر) 2002 الذي أكد فيه أن "حرب واشنطن الوشيكة على صدام حسين ليست مجرد فرصة لتخليص العالم من طاغية خطير يمثل تهديدًا مروعًا بشكل خاص لإسرائيل". واستمر قائلاً: "عندما يفصح الطاغية عن نواياه الشريرة، يجب أن نصدقه. هذا أحد الدروس التي كان يجب أن نتعلمها من هتلر والهولوكوست[7]. علاوة على ذلك، فإن التوراة تشير إلى أنه عندما يسعى عدوك لقتلك، اقتله أولاً. الدفاع عن النفس ليس في جائزا بل أمر واجب". لقد قامت أيضا منظمات مثل AIPAC وADL بدعم الحرب، لكنهم فعلوا ذلك بأدنى حد من الضجة.

الآن بعد أن تحولت الحرب إلى كارثة، يجادل مؤيدو إسرائيل في بعض الأحيان بأن الـ إيباكAIPAC ، وهي المجموعة الأبرز في اللوبي الصهيوني، لم تدعم الغزو. لكن هذا الادعاء فشل في اختبار المصداقية، حيث تدعم "إيباك" عادة ما تريده إسرائيل، وأرادت إسرائيل بالتأكيد أن تغزو الولايات المتحدة العراق. لقد أوضح ناثان جوتمان Nathan Guttman هذا الارتباط في حديثه عن المؤتمر السنوي لـ AIPAC في ربيع عام 2003، بعد وقت قصير من بدء الحرب: "AIPAC دوما تدعم كل ما هو جيد لإسرائيل، وطالما أن إسرائيل تدعم الحرب، كذلك يفعل الآلاف من أعضاء اللوبي في إيباك الذين اجتمعوا في العاصمة الأمريكية". تصرح المدير التنفيذي لإيباك هوارد كوهر Howard Kohr لصحيفة نيويورك صن New York Sun في يناير 2003 أكثر وضوحا مما سبق، حيث أقر بأن "الضغط بهدوء على الكونجرس للموافقة على استخدام القوة في العراق" كان أحد "نجاحات AIPAC خلال العام الماضي".

---

[7] الكذبة التي يستسلف بها اليهود إلى اليوم وهي أن هتلر قتل 6ملايين منهم، وبهذه الكذبة استطاعوا تأسيس كيانهم ومازالوا إلى اليوم يستخدمونها ضد كل من تكلم ضدهم وبالمناسبة إنكار هذه الكذبة تعتبر جريمة في الدول الأوربية وفي روسيا، وأما في أمريكا فهذه يعني أنك لن تستطيع المشاركة في أي شيء عمومي، وكذلك في الإنترنت.

وفي لمحة مطولة عن ستيفن ج. روزين Steven J. Rosen في نيويورك، والذي كان مديرا لتوجيهات السياسة لـ إيباك خلال الفترة التي سبقت حرب العراق، أفاد جيفري جولدبيرج Jeffrey Goldberg أن "إيباك ضغطت على الكونجرس لصالح حرب العراق".

ظلت "إيباك" داعماً قوياً للوجود الأمريكي في العراق. في خريف عام 2003، عندما كانت إدارة بوش تواجه صعوبة في إقناع أعضاء مجلس الشيوخ الديمقراطيين بتخصيص المزيد من الأموال للحرب، بحث. تحدث ممثلو إيباك إلى بعض أعضاء مجلس الشيوخ الديمقراطيين وتمت الموافقة على الأموال. عندما ألقى بوش خطابًا في AIPAC في مايو 2004 دافع فيه عن سياسته تجاه العراق، نال ترحيباً حاراً بالقيام له ثلاثة وعشرين مرة. في مؤتمر AIPAC لعام 2007، وفي ذلك الوقت توتر الرأي العام الأمريكي بشأن الحرب، قدم نائب الرئيس تشيني حجته لمواصلة المسار في العراق. وفقا لديفيد هوروفيتس David Horovitz من صحيفة Jerusalem Post، فقد تلقى "تصفيقا كبيرا". وتلقى جون بوينر John Boehner، زعيم الأقلية في مجلس النواب، ترحيبا حارا عندما قال: "من لا يعتقد أن الفشل في العراق لا يشكل تهديدا مباشرا لدولة إسرائيل؟! عواقب الفشل في العراق ينذر بالسوء بالنسبة للولايات المتحدة لدرجة أنه لا يمكنك حتى البدء في التفكير فيه". على النقيض من ذلك، عندما انتقدت رئيسة مجلس النواب نانسي بيلوسي Nancy Pelosi استراتيجية "زيادة القوات" لإدارة بوش، أطلق العديد من الجمهور صيحات الاستهجان.

الأيباك AIPAC ليست المجموعة الرئيسية الوحيدة في اللوبي التي ظلت متمسكة ببوش بشأن العراق، أو على الأقل لم تعارض الحرب. وكما ذكرت صحيفة Forward في مارس 2007، "رفضت معظم المنظمات اليهودية التحدث علانية ضد الحرب، وفي بعض الأحيان عرضت دعم الإدارة". هذا السلوك ملفت للنظر بشكل خاص بالنظر إلى مواقف معظم اليهود الأمريكيين تجاه الحرب نفسها. وفقًا لدراسة أجرتها منظمة جالوب Gallup Organization عام 2007 بناء على نتائج ثلاثة عشر استطلاعا للرأي أجريت منذ عام 2005، فإن اليهود الأمريكيين أكثر معارضة لحرب العراق (77 في المائة) من عامة الشعب الأمريكي (52 في المائة). فيما يتعلق بالعراق، من الواضح أن المنظمات الأكبر والأكثر ثراء الموالية لإسرائيل لا تتماشى مع السكان الأوسع لليهود الأمريكيين[8]. عارضت بعض المنظمات اليهودية، مثل مجتمع Tikkun والصوت اليهودي من أجل السلام Jewish Voice for Peace، الحرب قبل أن تبدأ، ومازالت مستمرة في القيام بذلك اليوم. ولكن كما هو مذكور في الفصل الرابع، فإن هذه المجموعات ليست ممولة جيدًا ولا مؤثرة مثل منظمات الـAIPAC .

هذه الفجوة بين المواقف السياسية التي اتخذتها المجموعات الرئيسية في اللوبي اليهودي والمواقف العامة لليهود الأمريكيين تؤكد نقطة أساسية التي تستحق اهتماما خاصا. على الرغم من أن القادة الإسرائيليين البارزين والمحافظين الجدد والعديد من قادة اللوبي الصهيوني كانوا متحمسين للولايات المتحدة حتى تغزو العراق، إلا أن الجالية اليهودية الأمريكية لم تكن كذلك. في الحقيقة، صموئيل فريدمان Samuel Freedman، أستاذ الصحافة في جامعة كولومبيا، أعاد توجيهه بعد بدء الحرب مباشرة إلى أن "تجميعًا لاستطلاعات الرأي على مستوى البلاد أجراه مركز بيو للأبحاث Pew Research Center يظهر أن اليهود أقل دعمًا لحرب العراق من السكان عمومًا، 52٪ إلى 62٪". لذلك سيكون من الخطأ الجسيم عزو الحرب في العراق إلى "النفوذ اليهودي" أو "إلقاء اللوم على اليهود" في الحرب. بدلا من ذلك، كانت الحرب في جزء كبير منها بسبب تأثير اللوبي اليهودي، وخاصة جناح المحافظين الجدد. واللوبي، كما أكدنا من قبل، لا يمثل دائمًا المجتمع الذي غالبًا ما يدعي التحدث باسمه.

بيع الحرب لأمريكا اللامبالية

بدأ المحافظون الجدد neoconservatives حملتهم لاستخدام القوة العسكرية للإطاحة بصدام قبل أن يصبح بوش رئيساً. تسببوا في إثارة ضجة في أوائل عام 1998 من خلال تنظيم رسالتين إلى الرئيس كلينتون تطالب بإزاحة

---

[8] أيهما جاء أولا الدجاجة أم البيض، فإذا كان جميع قادة اليهود وحاخاماتهم مع قيام الحرب في العراق فكيف يعقل أن الشعب اليهودي في أمريكا معظمهم ضد هذا الحرب!

صدام من السلطة. تمت كتابة الرسالة الأولى (26 يناير 1998) تحت رعاية مشروع القرن الأمريكي الجديد New American Century ووقعها كل من إليوت أبرامز وجون بولتون وروبرت كاغان وويليام كريستول وريتشارد بيرل ودونالد رامسفيلد وبول وولفويتز وآخرين (Elliott Abrams, John Bolton, Robert Kagan, William Kristol, Richard Perle, Donald Rumsfeld, and Paul Wolfowitz). الرسالة الثانية (19 فبراير 1998) كتبت تحت رعاية لجنة السلام والأمن في الخليج Committee for Peace and Security in the Gulf، المنظمة التي أسسها بيرل Richard Perle في عام 1990، (تحته) آن لويس Ann Lewis (المديرة السياسية السابقة للجنة البلدان الديمقراطية)، وعضو الكونجرس السابق ستيفن جيه سولارز Stephen J. Solarz (D-NY) (ديمقراطي من نيويورك)، عملا للضغط من أجل حرب الخليج الأولى. تم التوقيع على الرسالة من قبل الأفراد المذكورين أعلاه الذين وقعوا على الرسالة الأولى بالإضافة إلى دوغلاس فيث Douglas Feith ومايكل ليدين Michael Ledeen وبرنارد لويس Bernard Lewis ومارتن بيريتز Martin Peretz وديفيد ورمسر David Wurmser، على سبيل المثال لا الحصر.

بالإضافة إلى هاتين الرسالتين رفيعتي المستوى، عمل المحافظون الجدد وحلفاؤهم في اللوبي اليهودي بجد في عام 1998 لحمل الكونجرس على تمرير قانون تحرير العراق، الذي نص على أنه "ينبغي أن تكون سياسة الولايات المتحدة لدعم الجهود للإطاحة بالنظام الذي على رأسه صدام حسين من السلطة في العراق والترويج لنشوء نظام ديمقراطي الحكومة لتحل محل هذا النظام". كان المحافظون الجدد متحمسين بشكل خاص بشأن هذا القانون، ليس فقط لأنه دعا لتغيير النظام في العراق، ولكنه أيضًا لأنه قدم 97 مليون دولار لتمويل الجماعات التي كانت وشك الإطاحة بصدام. كانت المجموعة الرئيسية التي كانت تدور في أذهانهم هي مجموعة المؤتمر الوطني العراقي Iraqi National Congress (INC)، الذي كان يرأسه مساعدهم المقرب، أحمد الجلبي. ضغط كل من بيرل Perle وولفويتز Wolfowitz وولسي Woolsey بشدة نيابة عن تشريع تحرير العراق، كما فعلت JINSA. تم تمرير القانون في المجلس بأغلبية 360 صوتًا مقابل 38 وبموافقة بالإجماع في مجلس الشيوخ. ثم وقعها الرئيس كلينتون في 31 أكتوبر / تشرين الأول 1998.

ولم يكن لكلينتون فائدة تذكر لقانون تحرير العراق، لكنه لم يستطع استخدام حق النقض (الفيتو) لأنه كان يواجه انتخابات التجديد النصفي ومساءلة الإقالة. كان هو ومستشاروه الرئيسيون يعرّضون الجلبي Chalabi لاهتمام متدنٍ، ولم يفعلوا سوى القليل لتطبيق القانون. في الواقع، بحلول الوقت الذي غادر فيه كلينتون منصبه، كان قد أمضى بالكاد أي من الأموال المخصصة لمجموعات معارضة مثل المؤتمر الوطني العراقي. لقد أشاد الرئيس بالهدف المتمثل في الإطاحة بصدام ولكنه لم يفعل الكثير لتحقيق ذلك، وبالتأكيد لم يكن يفكر في استخدام الجيش الأمريكي لطرد الديكتاتور العراقي من السلطة. باختصار، لم يتمكن المحافظون الجدد من الترويج لفكرة الحرب ضد العراق خلال سنوات كلينتون، على الرغم من أنهم نجحوا في جعل تغيير النظام في بغداد هدفًا رسميًا للحكومة الأمريكية.

كما أنهم لم يكونوا قادرين على توليد الكثير من الحماس لغزو العراق في الأشهر الأولى من إدارة بوش، على الرغم من أن عددًا من المحافظين الجدد البارزين شغلوا مناصب مهمة في الحكومة الجديدة وكانوا لم يفقدوا أيًا من حماسهم للمشروع. قال ريتشارد بيرل Richard Perle لاحقًا إن دعاة الإطاحة بصدام يخسرون الحجج داخل الإدارة خلال هذه الفترة المبكرة .في الواقع، في آذار (مارس) 2001، ذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن "بعض الجمهوريين" كانوا يشتكون من أن رامسفيلد Rumsfeld وولفويتز Wolfowitz "أخفقوا في الارتقاء إلى مستوى دعوتهم قبل الانتخابات لتكثيف الجهود للإطاحة بالرئيس حسين". في الوقت نفسه، نشرت صحيفة واشنطن تايمز افتتاحية بعنوان "هل أصبح الصقور حمائم؟" كان ما يلي تلك الافتتاحية في 26 يناير 1998 هي رسالة مشروع القرن الأمريكي الجديد (PNAC) إلى الرئيس كلينتون.

بالنظر إلى الدعاية والجدل المحيط بكتابي ريتشارد كلارك "ضد كل الأعداء Against All Enemies" في عام 2004 - وكتاب رون سوسكيند Ron Suskind "ثمن الولاء The Price of Loyalty" الذي خرج في نفس الوقت

- قد يعتقد المرء أن بوش ونائبه تشيني Cheney كانا مصممين على اجتياح العراق منذ اللحظة التي تولى فيها منصبهما في أواخر كانون الثاني (يناير) 2001. لكن هذا التفسير خاطئ. لقد كانوا بالتأكيد مهتمين بإسقاط صدام، لكن لا يوجد دليل في السجل العام يظهر أن بوش وتشيني كانا يفكران بجدية في الحرب ضد العراق قبل 11 سبتمبر. لم يؤيد بوش استخدام القوة ضد صدام خلال حملة 2000، وأوضح لبوب وودوارد Bob Woodward أنه لم يكن يفكر في شن حرب ضد صدام قبل 11 سبتمبر. ومن المثير للاهتمام، أن كوندوليزا رايس Condoleezza Rice، مستشارة السياسة الخارجية في حملة الانتخابية، كتبت مقالاً بارزاً في فورين أفيرز Foreign Affairs في أوائل عام 2000 قائلة إن الولايات المتحدة يمكن أن تتعايش مع عراق مسلح نووياً. وأعلنت رايس أن "القوة العسكرية التقليدية لصدام" قد "ضعفت بشدة" وقالت "لا داعي للقلق" بشأن نظامه.

أكد نائب الرئيس تشيني طوال التسعينيات أن غزو العراق سيكون خطأ استراتيجيًا فادحًا، ولم يوقع أيًا من الخطابات الداعية إلى العمل العسكري ضد صدام والتي أرسلها المحافظون الجدد إلى الرئيس كلينتون في أوائل عام 1998. في المراحل النهائية من عام 2000، في حملته الانتخابية، دافع عن قرار عام 1991 بعدم الذهاب إلى بغداد - حيث لعب دورًا رئيسيًا كوزير للدفاع - وقال إننا "نريد الحفاظ على وضعنا الحالي تجاه العراق". لا يوجد دليل يشير إلى أن تفكيره أو تفكير الرئيس قد تغير بشكل ملحوظ بحلول أوائل عام 2001. وزير الدفاع رامسفيلد Rumsfeld، الذي وقع كلا من رسائل عام 1998 إلى الرئيس كلينتون، يبدو أنه كان المسؤول الوحيد في إدارة بوش الذي ربما فضل الحرب مع العراق عند توليه منصبه. لم تكن أي من الجماعات الأخرى التي يُلقى عليها باللوم أحيانًا في الحرب - مثل شركات النفط، أو مصنعي الأسلحة، أو النصارى الصهاينة، أو مقاولي الدفاع مثل Kellogg Brown & Root - تحدث ضجة حول غزو العراق في هذا الوقت. في بداية الأمر، كان المحافظون الجدد وحدهم من يدق أبواق الحرب إلى حد كبير.

مع ذلك، على الرغم من أهمية المحافظين الجدد كمهندسي الحرب الرئيسيين، إلا أنهم لم يتمكنوا من إقناع كلينتون أو بوش بدعم الغزو. لقد احتاجوا إلى المساعدة لتحقيق هدفهم، ووصلت تلك المساعدة على شكل 11 سبتمبر. على وجه التحديد، أدت أحداث ذلك اليوم المأساوي إلى قيام بوش وتشيني بإعادة صياغة موقفهما ليصبحا من أشد المؤيدين لحرب وقائية للإطاحة بصدام. وضع روبرت كاجان Robert Kagan النقطة بشكل جيد في مقابلة مع جورج باكر George Packer: "11 سبتمبر هي نقطة التحول. ليس أي شيء آخر. لم يكن هذا ما كان بوش في 10 سبتمبر". لعب المحافظون الجدد - وعلى الأخص سكوتر ليبي Scooter Libby,، وبول وولفويتز Paul Wolfowitz، ومؤرخ برينستون برنارد لويس Princeton historian Bernard Lewis - دورًا حاسمًا في إقناع الرئيس ونائب الرئيس بتأييد الحرب. بالنسبة لهم، كان الحادي عشر من سبتمبر هو السياق الجديد لبيع وجهة نظرهم القديمة للسياسة الخارجية الأمريكية. ربما كانت الميزة الأكبر لديهم، على حد تعبير كاغان Kagan، "نهج جاهز للتعامل مع العالم" كان في نفس الوقت الرئيس ونائب الرئيس يحاولان فهم كارثة غير مسبوقة بدا أنها تستدعي طرقًا جديدة جذرية للتفكير في السياسة الدولية.

إن سلوك وولفويتز Wolfowitz بين بشكل فاضح. ففي اجتماع مهم مع بوش في كامب ديفيد في 15 سبتمبر 2001، دعا وولفويتز إلى مهاجمة العراق قبل أفغانستان، على الرغم من عدم وجود دليل على أن صدام كان متورطًا في الهجمات على الولايات المتحدة وأن ابن لادن كان معروفًا بوجوده في أفغانستان. كان وولفويتز مصراً بشدة على احتلال العراق لدرجة أنه بعد خمسة أيام اضطر تشيني إلى إخباره "بالتوقف عن التحريض على استهداف صدام". وفقًا لأحد الكونجرس الجمهوريين، "كان مثل ببغاء يحضر [على العراق] طوال الوقت. لقد كانت يثير أعصاب الرئيس". رفض بوش نصيحة وولفويتز واختار أن يلاحق أفغانستان بدلاً من ذلك، ولكن الحرب مع العراق تعتبر الآن احتمالاً جاداً، وقد كلف الرئيس المخططين العسكريين الأمريكيين في 21 نوفمبر / تشرين الثاني 2001 بوضع خطط ملموسة للغزوا.

كان المحافظون الجدد الآخرون يعملون بجد داخل أروقة السلطة. على الرغم من أننا لا نملك القصة الكاملة بعد، إلا أن هناك أدلة كثيرة على أن علماء مثل برنارد لويس Bernard Lewi وفؤاد عجمي Fouad Ajami من جامعة

جونز هوبكنز Johns Hopkins University لعبوا دورًا مهمًا في إقناع نائب الرئيس تشيني بتأييد الحرب ضد العراق. في الواقع، يصف جاكوب ويسبرغ Jacob Weisberg، محرر صحيفة Slate، لويس بأنه "ربما كان له التأثير الفكري الأكثر أهمية وراء غزو العراق". كما تأثرت آراء تشيني بشدة بالمحافظين الجدد في طاقمه مثل إريك إيدلمان Eric Edelman وجون هانا John Hannah. لكن من المؤكد أن أهم تأثير على نائب الرئيس كان رئيس أركانه، سكوتر ليبي Scooter Libby، الذي كان من أقوى الأفراد في الإعلان. وكانت وجهات نظرهم بشأن العراق مماثلة لآراء صديقه المقرب ومعلمه القديم بول وولفويتز Paul Wolfowit. بعد وقت قصير من أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أفادت صحيفة "يورك تايمز York Times" أن "بعض كبار مسؤولي الإدارة، بقيادة بول د.والفويز Paul D. Wolfowitz ولويز لبي I. Lewis Libby يضغطون من أجل حملة عسكرية واسعة النطاق ليس فقط ضد شبكة أسامة بن لادن في أفغانستان ، ولكن أيضا ضد قواعد إرهابية أخرى مشتبة بها في العراق وفي منطقة البقاع Bakka اللبنانية ". بالطبع، ساعد منصب نائب الرئيس في إقناع الرئيس بوش بحلول أوائل عام 2002 بأن الولايات المتحدة ربما تضطر إلى الإطاحة بصدام.

هناك اعتباران آخران يظهران مدى أهمية المحافظين الجدد داخل الإدارة في جعل حرب العراق تحدث. أولاً، ليس من قبيل المبالغة القول إنهم لم يكونوا مصممين فقط؛ بل كانوا مهووسين بإزاحة صدام من السلطة. وكما قال أحد كبار المسؤولين في الإدارة في كانون الثاني (يناير) 2003، "أعتقد أن بعض الناس قد أنشأوا معتقداً حول هذا الأمر (غزوا العراق). إنه تقريبًا دين (بالنسبة لهم) — أن هذا سيكون نهاية مجتمعنا إذا لم نتخذ إجراء الآن". وصف صحفي بواشنطن بوست كولين باول Colin Powell عائدا من اجتماعات البيت الأبيض خلال الفترة التي سبقت حرب العراق، قائلا: "يغمض عينيه" قائلا: "____، يا له من مهووس بالعراق". أفاد بوب وودوارد Bob Woodward أن كينيث أدلمان Kenneth Adelman، عضو في إدارة مجلس الدفاع، "قال إنه كان قلقًا حتى الموت مع مرور الوقت ويبدو أن الدعم يتضاءل لعدم اندلاع حرب."

ثانيًا، كان هناك القليل من الحماس لشن حرب ضد العراق داخل وزارة الخارجية أو مجتمع الاستخبارات أو الجيش بالزي الرسمي. على الرغم من أن وزير الخارجية باول Powell أيد في نهاية المطاف قرار الرئيس بشأن الحرب، إلا أنه كان يعتقد أنها كانت فكرة سيئة. (أصحاب) الرتب والملفات في قسمه شاركه نفس مشاعره. ومع ذلك، كان هناك إثنين من المتطرفين في وزارة الخارجية - جون بولتون John Bolton وديفيد ورمسر David Wurmser، وكلاهما من المحافظين الجدد البارزين الذين تربطهم علاقات وثيقة بالبيت الأبيض. كما دعم جورج تينيت George Tenet، رئيس وكالة المخابرات المركزية CIA، البيت الأبيض بشأن العراق، لكنه لم يكن مدافع قوي عن الحرب. في الواقع، وجد عدد قليل من الأفراد داخل مجتمع الاستخبارات حجة الحرب مقنعة، ولهذا السبب، كما هو موضح أدناه، أنشأ المحافظون الجدد وحدات استخباراتهم الخاصة. كان الجيش، وخاصة القوات المسلحة، مليئا بالمتشككين في العراق. تعرض الجنرال إريك شينسكي General Eric Shinseki، رئيس أركان الجيش، لانتقادات شديدة من قبل وولفويتز Wolfowitz (الذي رفض تقدير شينسكي لمستويات القوات اللازمة للاحتلال باعتباره "بعيد المنال إلى حد بعيد") ولاحقًا انتقد رامسفيلد للتعبير عن شكوكه بشأن خطة الحرب. كان صقور الحرب داخل الإدارة في الأساس من المدنيين رفيعي المستوى في البيت الأبيض والبنتاغون، وجميعهم تقريبًا من المحافظين الجدد.

هؤلاء لم يضيعوا الوقت في إثبات أن غزو العراق كان أساسياً لكسب الحرب على الإرهاب. كانت جهودهم تهدف جزئيًا إلى الضغط على بوش وتهدف جزئيًا إلى التغلب على معارضة الحرب داخل وخارج الحكومة. في 13 سبتمبر 2001، أصدرت JINSA بيانًا صحفيًا بعنوان "هذا يتجاوز بن لادن"، أكد أن "التحقيق الطويل لإثبات ذنب أسامة بن لادن مع التأكد من النيابة العامة ليس ضروريًا على الإطلاق. إنه مذنب بالقول والفعل. إن تاريخه هو مصدر ذنبه، وينطبق الشيء نفسه على صدام حسين. ومن المؤكد أن أفعالنا في الماضي لم تكن قوية بما فيه الكفاية، والآن يجب أن ننتهز الفرصة لتغيير هذا النمط من السلبية ". بعد أسبوع، في 20 سبتمبر / أيلول، نشرت مجموعة من المحافظين الجدد البارزين وحلفائهم رسالة مفتوحة إلى بوش، تخبره أنه "حتى لو لم تربط الأدلة العراق مباشرة بهجوم [11 سبتمبر]، فإن أي استراتيجية تهدف إلى القضاء على الإرهاب ورعاته تحتاج لبذل جهد حازم لإزاحة

صدام حسين من السلطة في العراق ". كما ذكّرت الرسالة بوش بأن "إسرائيل كانت ولا تزال أقوى حليف لأمريكا ضد الإرهاب الدولي".

بعد أكثر من أسبوع بقليل، في 28 سبتمبر، عرض تشارلز كراوثامر Charles Krauthammer في صحيفة واشنطن بوست بأنه بعد أن انتهينا من أفغانستان، يجب أن تكون سوريا هي التالية، تليها إيران والعراق. "الحرب على الإرهاب" جادل، "سوف تختتم في بغداد،" عندما نقضي على "أخطر نظام إرهابي في العالم". بعد ذلك بوقت قصير، في عدد 1 أكتوبر من ويكلي ستاندرد Weekly Standard، دعا روبرت كاغان Robert Kagan ووليام كريستول William Kristol إلى تغيير النظام في العراق فور هزيمة طالبان. النقاد الآخرون، مثل مايكل بارون في US News & • World Report، كانوا يجادلون حتى قبل أن يهدأ الغبار في مركز التجارة العالمي أن "الأدلة تتراكم على أن العراق ساعد أو ربما خطط للهجوم".

على مدى الأشهر الثمانية عشر التالية، شن المحافظون الجدد حملة علاقات عامة (دعاية مركزة) لا هوادة فيها لكسب التأييد لغزو العراق. ففي 3 أبريل 2002، أطلقوا رسالة مفتوحة أخرى إلى بوش، والتي كانت تربط بوضوح أمن إسرائيل بحرب لإسقاط صدام. تبدأ الرسالة بالثناء على الرئيس "لموقفه القوي الداعم للحكومة الإسرائيلية وهي تشارك في الحملة الحالية لمحاربة الإرهاب". ثم تقول إن "الولايات المتحدة وإسرائيل يشتركان في عدو مشترك" و "تخوضان نفس الحرب". وهي تحث بوش على "تسريع خطط إزاحة صدام حسين من السلطة"، وإلا فإن "الضرر الذي عاناه أصدقاؤنا الإسرائيليون وما عانوه حتى الآن قد يبدو في يوم من الأيام مجرد مقدمة لأهوال قادمة". وتختتم الرسالة بالرسالة التالية: "حرب إسرائيل ضد الإرهاب هي معركتنا، وانتصار إسرائيل جزء مهم من انتصارنا. من أجل أسباب إستراتيجية وأخلاقية يجب أن نقف مع إسرائيل في حاربها ضد الإرهاب ".

كان الهدف الأساسي للرسالة هو تصوير عرفات، وبن لادن، وصدام على أنهم أجزاء مهمة من خطر يلوح في الأفق يهدد كلاً من إسرائيل والولايات المتحدة. لم يبرر هذا التصوير لخطر مشترك ومتزايد العلاقات الوثيقة بين أمريكا وإسرائيل فحسب، بل برر أيضًا معاملة الولايات المتحدة لهؤلاء الأفراد الثلاثة كأعداء لدودين ودعم رد إسرائيل المتشدد على الانتفاضة الثانية. كما لوحظ في الفصل السابق، كانت العلاقات بين إدارة بوش وحكومة شارون مثيرة للجدل بشكل خاص في أوائل أبريل 2002، عندما تمت كتابة الرسالة. وكان من بين الموقعين كينيث أدلمان، وويليام بينيت، وليندا شافيز، وإليوت كوهين، وميدج ديكتير، وفرانك جافني، وويل مارك جيريشت، ودونالد كاجان، وروبرت كاجان، وويليام كريستول، وجوشوا مورافشيك، ومارتن بيريتز، وريتشارد بيرل، ودانييل بايبس، ونورمان بودوريتز، وجيمس وولسي، من بين آخرين (Kenneth Adelman, William Bennett, Linda Chavez, Eliot Cohen, Midge Decter, Frank Gaffney, Reuel Marc Gerecht, Donald Kagan, Robert Kagan, William Kristol, Joshua Muravchik, Martin Peretz, Richard Perle, Daniel Pipes, Norman Podhoretz, and James Woolsey). قدم نقاد آخرون مؤيدون لإسرائيل، والذين لا يُنظر إليهم عادة على أنهم محافظون جدد، قرع طبول ثابتة للدعوة المناصرة لاستخدام القوة أيضًا. حصلت قضية الحرب على دفعة كبيرة مع نشر كتاب كينيث بولاك Kenneth Pollack في عام 2002 بعنوان "عاصفة التهديد The Threatening Storm"، والذي دعا بأن صدام كان متقبلًا للمخاطر وغير عقلاني بحيث لا يمكن ردعه وخلص إلى أن الحرب الوقائية كانت الخيار الواقعي الوحيد. ولأن بولاك كان مسؤولاً سابقًا في إدارة كلينتون كان قد وصف سابقًا الإطاحة بصدام بـ "خيال التراجع"، فقد بدا تحوله إلى موقف مريب مؤثرًا بشكل خاص على الرغم من معالجة الكتاب المغرضة للأدلة. انتقل بولاك من مجلس العلاقات الخارجية إلى مركز سابان Saban لسياسة الشرق الأوسط. في هذه الفترة، حيث أخرج هو ومدير مركز سابان مارتن إنديك Martin Indyk عددًا من مقالات الرأي والتعليقات في الأشهر التي سبقت الحرب، محذرين من أن صدام كان لا يمكن ردعه، وأن عمليات التفتيش التابعة للأمم المتحدة لم تكن حلاً، وأنه مهما كان مؤسفا، فإن استخدام القوة ستكون بالتأكيد ضرورية.

نشر المحافظون الجدد وحلفاؤهم نفس الحجج وبنفس اللغة تقريبًا التي استخدمها الإسرائيليون للترويج للحرب. أشار المحافظون الجدد مرارًا إلى ثلاثينيات القرن الماضي وميونيخ، حيث قاموا بمحاذاة صدام مع هتلر ومعارضي الحرب (مثل برنت سكوكروفت Brent Scowcroft والسناتور تشاك هاجل Chuck Hagel) مع مسترضين

(ساكتين عن هتلر) مثل نيفيل تشامبرلين Neville Chamberlain. لقد أكدوا أن إسرائيل والولايات المتحدة كانتا تواجهان عدوا ضبابيا (لا يمن التنبؤ به)، "الإرهاب الدولي"، والعراقُ، على حد تعبير الكاتب الصحفي في صحيفة نيويورك تايمز ويليام سافير William Safire، "مركز الإرهاب العالمي". صوّرخ صقور الحرب صدام على أنه زعيم عدواني ومتهور بشكل خاص لن يستخدم أسلحة الدمار الشامل ضد الولايات المتحدة وإسرائيل فحسب، بل سينقلها أيضًا إلى الإرهابيين. في تحديد الدبلوماسية والتعددية بالضعف، لم يكن لدى المعلقين من المحافظين الجدد سوى ازدراء الأمم المتحدة ومفتشيها في العراق، ناهيك عن فرنسا. وبالفعل، فقد كرروا القول المأثور الإسرائيلي القديم القائل إن للقوة فائدة كبيرة في الشرق الأوسط، لأنها منطقة، على حد قول كراوثامر Krautham-mer، "القوة، قبل كل شيء، تفرض الاحترام".

قد يجادل أحدهم بأن هذا التحليل يبالغ في التأثير الذي يمكن أن تحدثه الرسائل المفتوحة إلى الرؤساء وأعمدة الصحف والكتب ومقالات الرأي على عملية صنع السياسة. بعد كل شيء، قرأ عدد قليل نسبيًا الرسائل المفتوحة المتنوعة، وكان هناك الكثير من المقالات والافتتاحيات ومقالات الرأي الأخرى التي كُتبت في الصحف الأمريكية والتي لا علاقة لها بالعراق. لكن هذا المنظور سيكون خاطئًا. الموقعون على الرسائل المختلفة الموجهة إلى الرئيسين بوش وكلينتون هم أفراد أقوياء لهم صلات ونفوذ مع صانعي السياسات وأعضاء الكونجرس المهمين في الكابيتول هيل Capitol Hill، والذين عملوا معهم عن كثب خلال مسيرتهم المهنية. في الواقع، أصبح عدد من الأشخاص الذين وقعوا الرسائل السابقة لكلينتون - بمن فيهم رامسفيلد Rumsfeld وولفويتز Wolfowitz وفيث Feith - صانعي السياسة الرئيسيين في إدارة بوش. هكذا، الموقعون على الرسائل المكتوبة لبوش في الفترة ما بين 9/11 وغزو العراق لم يكونوا يصرخون في الفراغ. وينطبق الشيء نفسه على صحفيين مثل تشارلز كراوثامر Charles Krauthammer وويليام سافير William Safire، الذين كتبوا بشكل متكرر عن العراق لاثنين من الصحف الرائدة في البلاد، واشنطن بوست ونيويورك تايمز[9]، على التوالي. لقد تم أخذ وجهات نظرهم على محمل الجد من قبل الأشخاص المؤثرين داخل وخارج حكومة الولايات المتحدة، وكذلك المقالات التي ظهرت في مجلات المحافظين الجدد مثل ويكلي ستاندرد Weekly Standard. في الواقع، عملت هذه الكتابات من قبل هؤلاء الغرباء على تعزيز الحجج التي قدمها المطلعون على إدارة بوش، الذين شاركوا وجهات نظرهم حول الحاجة إلى غزو العراق.

كان الغرض الأساسي من كل هذه الجهود هو تحديد شروط النقاش بطريقة تسهل اتخاذ قرار إيجابي للحرب. من خلال جعل الحرب تبدو ضرورية ومفيدة، من خلال تصوير المعارضين المحتملين على أنهم "لينين" مع الإرهاب، وربط مصير أمريكا بإسرائيل من خلال تكرار الحجج الأخلاقية والاستراتيجية المألوفة، ساعدت هذه الجهود في خنق النقاش الجاد حول إيجابيات وسلبيات الحرب، وكان الغزو جزءًا مهمًا من الحملة الأوسع للحرب.

توريط العراق بتقارير المخابرات

كان جزء أساسي من حملة العلاقات العامة (الدعاية) لكسب التأييد لغزو العراق هو التلاعب بالمعلومات الاستخباراتية من أجل جعل صدام يبدو وكأنه تهديد وشيك. كان سكوتر ليبي Scooter Libby لاعبًا مهمًا في هذا المسعى، حيث قام بزيارة وكالة المخابرات المركزية CIA عدة مرات للضغط على المحللين للعثور على دليل من شأنه أن يجعل قضية الحرب سائغة. كما ساعد في إعداد إحاطة مفصلة حول التهديد العراقي في أوائل عام 2003 والتي تم دفعها إلى كولن باول Colin Powell، الذي كان يحضر عرضه السيئ السمعة إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. ووفقًا لبوب وودوارد Bob Woodward، فإن نائب باول، ريتشارد أرميتاج Richard Armitage، "شعر بالذهول مما اعتبره مبالغًا فيه وتهويلا. لم يكن ليبي Libby يستخلص سوى أسوأ النتائج من الشظايا والخيوط الحريرية الضعيفة هنا وهناك." على الرغم من أن باول تجاهل مزاعم ليبي الأكثر غرابة، كان عرضه في الأمم المتحدة لا يزال مليئًا بالأخطاء، كما يقر باول الآن.

---

[9] صحيفتان كبقية ما يسمى بالإعلام العالمي تحت سلطة الصهاينة اليهود

الجهود المبذولة للتلاعب بالاستخبارات، والتي تم تسريبها بعد ذلك إلى الصحافة المتمردة المثيرة للقلق، شملت أيضًا منظمتين تم إنشاؤهما بعد 11 سبتمبر وتم تقديم تقاريرهما مباشرة إلى وكيل وزارة الدفاع دوغلاس فيث Douglas Feith. تم تكليف مجموعة تقييم سياسة مكافحة الإرهاب بإيجاد روابط بين القاعدة والعراق يفترض أن مجتمع الاستخبارات لم يصل لها. وكان العضوان الرئيسيان فيهما ديفيد ورمسر David Wurmser ومايكل مالوف MichaelMaloof، وهو لبناني أمريكي تربطه علاقات وثيقة بريتشارد بيرل Richard Perle. كتب مراسل صحيفة نيويورك تايمز جيمس رايزن James Risen أن "المخابرات الإسرائيلية لعبت دورًا خفيًا في إقناع ولفويتز Wolfowitz بأنه لا يستطيع الوثوق في وكالة المخابرات المركزية". وقد ساعده هذا الاستياء في اعتماده على أحمد الجلبي Ahmed Chalabi للحصول على معلومات استخبارية وإنشاء مجموعة تقييم سياسة مكافحة الإرهاب.

تم توجيه مكتب الخطط الخاصة (OSP) للعثور على أدلة يمكن استخدامها لترويج الحرب ضد العراق. كان يرأسها أبرام شولسكي Abram Shulsky، وهو من المحافظين الجدد الذين ارتبطوا منذ فترة طويلة بوولفويتز Wolfowitz، وضمت رتبها العديد من المجندين من المؤسسات الفكرية الموالية لإسرائيل مثل مايكل روبين Michael Rubin من معهد أمريكان إنتربرايز American Enterprise Institute وديفيد شينكر David Schenker من معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى Washington Institute for Near East Policy ومايكل ماكوفسكي Michael Makovsky، الذي عمل لرئيس الوزراء آنذاك شيمون بيريز Shimon Peres بعد تخرجه من الكلية. اعتمدت OSP بشكل كبير على معلومات من الجلبي ومنفيين عراقيين آخرين وكانت لها صلات وثيقة بمصادر إسرائيلية مختلفة. في الواقع، ذكرت صحيفة الغارديان أنها "أقامت علاقات وثيقة مع عملية استخبارات موازية مخصصة داخل مكتب آرييل شارون Ariel Sharon's في إسرائيل على وجه التحديد لتجاوز الموساد Mossad وتزويد إدارة بوش بتقارير مثيرة للقلق حول العراق وصدام أكثر مما كان الموساد مستعدًا للتصريح به". أصدر المفتش العام في البنتاغون تقريرًا في فبراير 2007 ينتقد OSP لنشر "تقييمات استخباراتية بديلة" والتي "كانت، في رأينا، غير مناسبة نظرًا لأن التقييمات الاستخباراتية كانت منتجات استخباراتية (كذب) ولم تشارك بوضوح الاختلاف مع إجماع آراء مجتمع الاستخبارات".

لم يعتمد المحافظون الجدد neoconservatives في البنتاغون والبيت الأبيض على الجلبي وزملائه المنفيين فقط للحصول على معلومات استخبارية عن العراق، بل دافعوا عنه كزعيم مستقبلي للعراق بعد رحيل صدام. من ناحية أخرى، اعتبرت وكالة المخابرات المركزية ووزارة الخارجية الجلبي غير أمين وغير موثوق به وأبقاه على بعد ذراع. لقد تم الآن إثبات صحة هذا الحكم القاسي، حيث نعلم أن الجلبي والمجلس الوطني الانتقالي قاما بتغذية الولايات المتحدة بمعلومات كاذبة، وسرعان ما تدهورت علاقاته مع قوات الاحتلال الأمريكية، حيث اتهم الجلبي لاحقًا بتقديم معلومات سرية لإيران (وهي تهمة نفاها). أمل المحافظين الجدد في أن يكون الجلبي "جورج واشنطن العراق" وهذا لم تكن أفضل من توقعاتهم الأخرى قبل الحرب.

فلماذا احتضن المحافظون الجدد الجلبي؟ لقد بذل زعيم المجلس الوطني الانتقالي جهودًا كبيرة لإقامة علاقات وثيقة مع الأفراد والجماعات في اللوبي الصهيوني، وكان له روابط وثيقة بشكل خاص مع JINSA، حيث كان "ضيفًا متكررًا في اجتماعات مجلس الإدارة والندوات والأحداث الأخرى منذ عام 1997". كما أقام علاقات وثيقة مع المنظمات الموالية لإسرائيل مثل AIPAC وAEI ومعهد هدسون Hudson Institute وWINEP. ووصف ماكس سينجر Max Singer، الذي ساعد في تأسيس معهد هدسون، الجلبي بأنه "اكتشاف نادر. إنه موجود في أعماق العالم العربي وفي نفس الوقت هو في الأساس رجل من الغرب". عندما عاد الجلبي المحاصر لإلقاء خطابه الثامن على AEI في أوائل تشرين الثاني (نوفمبر) 2005، قدمه رئيس مركز الأبحاث هذا على أنه "وطني عراقي عظيم وشجاع للغاية، ليبرالي ومحرر". وكان برنارد لويس Bernard Lewis من أشد المؤيدين للجلبي، حيث قال إن زعيم المؤتمر الوطني العراقي يجب أن يتولى مسؤولية العراق بعد سقوط بغداد.

في مقابل دعم اللوبي اليهودي، تعهد الجلبي بتعزيز العلاقات الجيدة مع إسرائيل بمجرد وصوله إلى السلطة. وفقًا لشريك فيث Feith's القانوني السابق، لـ.مارك زيل L. Marc Zell، وعد الجلبي أيضًا بإعادة بناء خط الأنابيب الذي كان يمتد من حيفا في إسرائيل إلى الموصل في العراق. كان هذا بالضبط ما أراد مؤيدو تغيير النظام سماعه، لذا دعموا الجلبي بدورهم. وضع الصحفي ماثيو بيرغر Matthew Bergerجوهر الصفقة في الجريدة اليهودية Jewish Journal:"رأى المؤتمر الوطني العراقي تحسين العلاقات كوسيلة للاستفادة من الطلاقة اليهودية في واشنطن والقدس وحشد المزيد من الدعم لقضيته. رأت الجماعات اليهودية فرصة لتمهيد الطريق لعلاقات أفضل بين إسرائيل والعراق، إذا وعندما يشارك المؤتمر الوطني العراقي في استبدال نظام صدام حسين". ليس من المستغرب أن يقول ناثان جوتمان Nathan Guttman أن "الجالية اليهودية الأمريكية والمعارضة العراقية" بذلوا جهودًا طوال سنوات لإخفاء "الروابط بينهما.

لم يعمل المحافظون الجدد neocons وحلفاؤهم في فراغ، ولم يقودوا الولايات المتحدة إلى الحرب بأنفسهم. كما أكدنا سابقًا، ربما لم تكن الحرب لتحدث لولا هجمات 11 سبتمبر[10]، الأمر الذي أجبر الرئيس بوش ونائبه تشيني على التفكير في تبني سياسة خارجية جديدة جذرية. كان المحافظون الجدد مثل نائب وزير الدفاع بول وولفويتز Paul Wolfowitz، الذي كان يحث على تغيير النظام في العراق منذ أوائل عام 1998، سارعوا إلى ربط صدام حسين بـ 11 سبتمبر - على الرغم من عدم وجود دليل على توريط صدام - وتصوير الإطاحة به على أنها ضرورية للانتصار في الحرب على الإرهاب. كانت تصرفات اللوبي ضروريةً ولكنها غير كافية للحرب.

في الواقع، أوضح ريتشارد بيرل Richard Perle هذه النقطة بالضبط لجورج باكر George Packer في مناقشة حول الدور الذي لعبه المحافظون الجدد في جعل حرب العراق تحدث. وأشار بيرل إلى أنه "إذا أمكن أن بوش قد زود إدارته بمجموعة من الأشخاص اختارهم برنت سكوكروفت Brent Scowcroft وجيم بيكر Jim Baker، وهذا الأمر كان من الممكن أن يحدث، لكان من الممكن أن يكون الأمر مختلفًا، لأنهم لم يكونوا لينفذوا فيها الأفكار التي جلبها إليه الأشخاص الذين انتهى بهم المطاف في مناصب مهمة". قدم توماس ل. فريدمان Thomas L. Friedman، كاتب العمود في صحيفة نيويورك تايمز، تقييماً مماثلاً في مايو 2003، حيث أخبر آري شافيت Ari Shavit من صحيفة هآرتس Haaretz أن حرب العراق كان "الحرب التي أرادها المحافظون الجدد ... الحرب التي روج لها المحافظون الجدد ... يمكنني أن أعطيك أسماء 25 من الأشخاص (الذين هم جميعًا في الوقت الحالي ضمن دائرة نصف قطرها خمسة مبانٍ من هذا المكتب [في واشنطن العاصمة])، والذين، إذا قمت بنفيهم إلى جزيرة صحراوية قبل عام ونصف، لم تكن لتحدث حرب العراق". نتفق تمامًا مع ملاحظات بيرل Perle وفريدمان Friedman، بينما ندرك أنه كان مزيجًا من الأفراد والأفكار والظروف التي اجتمعت للتوصل إلى القرار النهائي للحرب.

هل كان حرب العراق حربا من أجل النفط؟

قد يقر بعض القراء بأن اللوبي الإسرائيلي كان له بعض التأثير على قرار غزو العراق لكنهم يجادلون بأن وزنه الإجمالي في عملية صنع القرار كان ضئيلاً. بدلاً من ذلك، يبدو أن العديد من المراقبين الأمريكيين والأجانب يعتقدون أن النفط - وليس إسرائيل - كان الدافع الحقيقي وراء غزو العراق في عام 2003. في أحد أشكال هذه القصة، كانت إدارة بوش مصممة على السيطرة على الاحتياطيات الهائلة من النفط في الشرق الأوسط، لأن ذلك من شأنه أن يمنح الولايات المتحدة نفوذاً جيوسياسياً هائلاً على الخصوم المحتملين. احتلال العراق، وفق هذا السيناريو، كان ينظر إليه من قبل الإدارة على أنه خطوة عملاقة نحو تحقيق هذا الهدف. نسخة بديلة ترى أن الدول المنتجة للنفط وخاصة شركات النفط هي الجناة الحقيقيون وراء حرب العراق، مدفوعة في المقام الأول بالرغبة في ارتفاع الأسعار وزيادة الأرباح. حتى العلماء الذين غالبًا ما ينتقدون إسرائيل واللوبي، مثل نعوم تشومسكي Noam

---

[10] كان 11سبتمبر حدثا مهما بالنسبة لهؤلاء حتى يكتمل لهم خططهم في إخراج أمريكا الماسونية من جحرها المنعزل، وكما قالوا في ورقتهم: إن عملية التحويل [تحويل أمريكا إلى شرطي العالم]، حتى لوا أدت إلى أمر استثنائي، من المرجح أنها ستكون بطيئة جداً، ما عدا حال حدوث حدث كارثي ومحفز -- مثل حدث Pearl Harbor جديد.

و Pearl Harbor هذه المرة كان 11سبتمبر، والقاعدة هي مجرد الوجه البلاستيكي الذي يغطي المنفذين الحقيقين لهذه العملية.

Chomsky[11]، يوافقون على ما يبدو على هذه الفكرة، التي حظيت بشعبية في الفيلم الوثائقي للمخرج مايكل مور Michael Moore لعام 2004 فهرنهايت 11/9 Fahrenheit 9/11.

إن الادعاء بأن غزو العراق كان في الأساس يتعلق بالنفط له بعض المعقولية للوهلة الأولى، بالنظر إلى أهمية النفط في الاقتصاد العالمي. لكن هذا التفسير يواجه صعوبات منطقية وتجريبية. كما تم التأكيد عليه في الفصل الثاني، فإن صانعي السياسة الأمريكيين قلقون منذ فترة طويلة بشأن من يسيطر على نفط الخليج العربي. لقد كانوا قلقين بشكل خاص من خطر سيطرة دولة واحدة على كل ذلك النفط. كانت الولايات المتحدة على خلاف مع العديد من الدول المنتجة للنفط في الخليج، ولكن لا توجد حكومة أمريكية، بما في ذلك إدارة بوش، فكرت بجدية في احتلال الدول الرئيسية المنتجة للنفط في تلك المنطقة لكسب نفوذ قسري على دول أخرى حول العالم. قد تفكر الولايات المتحدة في غزو دولة رئيسية منتجة للنفط إذا تسببت ثورة أو حظر في توقف نفطها عن التدفق إلى الأسواق العالمية. لكن لم يكن هذا هو الحال مع العراق. كان صدام حريصًا على بيع نفطه لأي زبون يرغب في دفع ثمنه. علاوة على ذلك، إذا أرادت الولايات المتحدة احتلال دولة أخرى من أجل السيطرة على نفطها، فإن المملكة العربية السعودية - مع احتياطيات أكبر وعدد سكان أقل - ستكون هدفًا أكثر جاذبية. بالإضافة إلى ذلك، ولد بن لادن وترعرع في المملكة العربية السعودية، وكان خمسة عشر من أصل تسعة عشر من المتعصبين الذين ضربوا الولايات المتحدة في 11 سبتمبر من السعوديين (ولم يكن أي منهم من العراق). إذا كانت السيطرة على النفط هي الهدف الحقيقي لبوش، كان من الممكن أن يكون الحادي عشر من سبتمبر ذريعة مثالية لهذا العمل. لن يكون احتلال المملكة العربية السعودية مهمة سهلة، لكن من شبه المؤكد أنها كانت ستكون أسهل من محاولة إخضاع الشعب العراقي الكبير والمضطرب والمسلح تسليحا جيدا.

كما أنه لا يكاد يوجد أي دليل على أن المصالح النفطية كانت تدفع إدارة بوش بأي نشاط لغزو العراق في 2002-2003. في المقابل، في 1990-1991، ضغط قادة المملكة العربية السعودية بوضوح على إدارة بوش الأولى لاستخدام القوة لطرد العراق من الكويت. كانوا يخشون، مثل العديد من صانعي السياسة الأمريكيين في ذلك الوقت، أن يغزو صدام المملكة العربية السعودية في المرة القادمة، الأمر الذي سيضع الكثير من نفط المنطقة تحت سيطرته. عمل الأمير بندر، السفير السعودي في الولايات المتحدة، عن كثب مع الجماعات الموالية لإسرائيل هنا لحشد الدعم للإزاحة صدام من الكويت. لكن القصة كانت مختلفة تمامًا في الفترة التي سبقت حرب الخليج الثانية: هذه المرة عارضت المملكة العربية السعودية علنًا استخدام القوة الأمريكية ضد العراق. كان يخشى القادة السعوديون أن تؤدي الحرب إلى تفكك العراق وزعزعة استقرار الشرق الأوسط. وحتى لو بقي العراق على حاله، فمن المرجح أن يصل الشيعة (الرافضة) إلى السلطة، الأمر الذي يقلق السنة الذين أداروا السعودية ليس فقط لأسباب دينية ولكن أيضًا لأنه سيزيد من نفوذ إيران في المنطقة. بالإضافة إلى ذلك، واجه السعوديون تنامي العداء لأمريكا في الداخل، والذي كان من المرجح أن يزداد سوءًا إذا شنت الولايات المتحدة حربًا وقائية ضد العراق.

لم تكن شركات النفط، التي تسعى عمومًا لكسب ود منتجي النفط الكبار مثل صدام العراق أو جمهورية إيران (اللاإسلامية)[12]، لاعبين رئيسيين في قرار غزو العراق. لم يضغطوا من أجل حرب 2003، التي اعتقد معظمهم أنها فكرة حمقاء. كما أشار بيتر بينارت Peter Beinart في New Republic في سبتمبر 2002، "شركات النفط كما هي عادتهم دائما، أرادوا جني الأموال لا صناعة الحرب".

أحلام بتحويل الإقليم

لم يكن من المفترض أن تكون حرب العراق مستنقعًا مكلفًا. بدلاً من ذلك، كان يفترض أن تكون كخطوة أولى في خطة أكبر لإعادة ترتيب الشرق الأوسط بطرق من شأنها أن تفيد المصالح الأمريكية والإسرائيلية على المدى الطويل. على وجه التحديد، لم تكن الولايات المتحدة تنوي فقط الإطاحة بصدام حسين من السلطة والعودة إلى الوطن. إن الغزو والاحتلال، في هذا الحلم، سيحولان العراق بسرعة إلى ديمقراطية، والتي من شأنها أن تكون

---

[11] نعوم تشومسكي يهودي ليبرالي ومهمة الأساسية تغطية جرائم اليهود المختلفة كما فعله هنا، مع أنه دائما يتكلم بشكل جريء ضد جرائم الغرب.

[12] الكاتب يكتب جمهورية إيران الإسلامية ولكن هذا التغير مني، كذلك بالنسبة لحزب اللات.

نموذجًا جذابًا للأشخاص الذين يعيشون في مختلف الدول الاستبدادية في المنطقة. النتائج من العراق ستطلق سلسلة من الدومينو الديمقراطية، على الرغم من أنه قد يكون من الضروري استخدام السيف لنشر الديمقراطية في بعض البلدان في الشرق الأوسط إلى جانب العراق. ولكن بمجرد أن تترسخ الديمقراطية في المنطقة، فإن الأنظمة الصديقة لإسرائيل والولايات المتحدة ستكون هي القاعدة، والصراع بين إسرائيل والفلسطينيين، على حد تعبير دراسة "Clean Break"، "سيتم تجاوزه"، وسيتم إسكات المنافسات الإقليمية الأخرى، وستختفي المشاكل المزدوجة المتمثلة في الإرهاب وانتشار الأسلحة النووية إلى حد كبير.

وضع نائب الرئيس تشيني هذا الأساس المنطقي الطموح للتحول الإقليمي في الخطاب الذي ألقاه أمام مؤتمر VFW في 26 أغسطس 2002، فاتحًا حملة الإدارة لتبرير حرب العراق. وقال: "عندما يتم القضاء على أخطر التهديدات، سيكون لدى شعوب المنطقة المحبة للحرية فرصة لتعزيز القيم التي يمكن أن تحقق السلام الدائم ... سيتعين على المتطرفين في المنطقة إعادة التفكير في استراتيجيتهم للجهاد سيشجع المعتدلون في جميع أنحاء المنطقة، وستتعزز قدرتنا على دفع عملية السلام الإسرائيلية الفلسطينية إلى الأمام". كرر تشيني هذه الحجج في عدة مناسبات خلال الأشهر الستة التالية.

وتحدث الرئيس بوش بحماس مماثل حول التحول الإقليمي كما طرح قضية الحرب ضد العراق. في 26 فبراير 2003، قال للجمهور في AEI أن الولايات المتحدة يهدف إلى "تنمية الحرية والسلام في الشرق الأوسط"، مؤكداً أن "العالم له مصلحة واضحة في نشر القيم الديمقراطية، لأن الدول المستقرة والحرة لا تولد أيديولوجيات القتل. بل يشجعون السعي السلمي من أجل حياة أفضل. وهناك مؤشرات تبعث على الأمل في الرغبة في الحرية في الشرق الأوسط ". علاوة على ذلك، زعم أن" النجاح في العراق يمكن أن يبدأ أيضًا مرحلة جديدة للسلام في الشرق الأوسط، ويبدأ التقدم نحو سلام فلسطيني ديمقراطي حقيقي".

كانت هذه الاستراتيجية الطموحة، التي ترتكز على اعتقاد ديني تقريبًا في القوة التحويلية للحرية، خروجًا دراماتيكيًا عن السياسة الأمريكية السابقة، وبالتأكيد لم يكن هناك ما يشير قبل 11 سبتمبر إلى أن بوش أو تشيني سيقبلانها. في الواقع، كان كلا الرجلين - وكذلك مستشارة الأمن القومي رايس Rice - قد سجلوا معارضتهم لهذا النوع الطموح لبناء الدولة الذي كان في قلب التحول الإقليمي، وانتقد بوش بشدة إدارة كلينتون لتأكيدها على بناء الدولة خلال حملة عام 2000. إذن ما الذي أحدث هذا التحول؟

وفقًا لمقالة نشرت في مارس 2003 في صحيفة وول ستريت جورنال، فإن القوى الدافعة الحاسمة وراء هذا التغيير الكبير في سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط كانت إسرائيل والمحافظين الجدد في اللوبي اليهودي. العنوان يقول كل شيء: "حلم الرئيس: تغيير. ليس فقط نظاما بل منطقة بأكملها: منطقة ديمقراطية موالية للولايات المتحدة هي هدفٌ له جذور إسرائيلية ومحافظين جدد".

تشارلز كراوثامر Charles Krauthammer يقول هذا المخطط الكبير لنشر الديمقراطية في الشرق الأوسط هي من بنات أفكار ناتان شارانسكي Natan Sharansky، السياسي الإسرائيلي الذي قيل إن كتاباته أثارت إعجاب الرئيس بوش. لكن شارانسكي لم يكن صوتًا وحيدًا في إسرائيل. في الواقع، أكد الإسرائيليون من مختلف ألوان الطيف السياسي أن الإطاحة بصدام من شأنه أن يغير الشرق الأوسط لصالح إسرائيل. كتب رئيس الوزراء السابق إيهود باراك Ehud Barak في صحيفة نيويورك تايمز في أوائل سبتمبر 2002، أن "وضع حد لنظام صدام حسين سيغير المشهد الجيوسياسي للعالم العربي". وزعم أن "عالمًا عربيًا بدون صدام حسين سيمكن الكثيرين من هذا الجيل [القادة الذين على وشك الوصول إلى السلطة] من تبني الانفتاح الديمقراطي التدريجي الذي بدأت تتمتع به بعض دول الخليج العربي والأردن". كما أكد باراك أن الإطاحة بصدام "سيخلق فرصة للتحرك إلى الأمام بشأن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني".

في أغسطس (آب) 2002، قال يوفال شتاينتس Yuval Steinitz، عضو حزب الليكود في لجنة الشؤون الخارجية والدفاع بالكنيست، لصحيفة كريستيان ساينس مونيتور Christian Science Monitor، "بعد أن استولت القوات الأمريكية على العراق، نرى نظامًا جديدًا تم تنصيبه كما هو الحال في أفغانستان، وأصبحت القواعد العراقية

أمريكية، سيكون من السهل جدًا الضغط على سوريا لوقف دعم المنظمات الإرهابية مثل حزب (اللات) والجهاد (اللإسلامي)، والسماح للجيش اللبناني بتفكيك حزب (اللات)، وربما إنهاء الاحتلال السوري في لبنان. وإذا حدث هذا فسنرى حقًا. شرق اوسط جديد". وبالمثل، أفاد ألوف بن Aluf Benn في صحيفة "هآرتس" في شباط (فبراير) 2003 أن "كبار ضباط الجيش الإسرائيلي والمقربين من رئيس الوزراء أرييل شارون، مثل مستشار الأمن القومي إفرايم هليفي Ephraim Halevy، يرسمون صورة وردية للمستقبل الرائع الذي يمكن أن تتوقعه إسرائيل بعد الحرب. مثل تأثير الدومينو، مع سقوط صدام حسين سيتلوه سقوط أعداء إسرائيل الآخرين: عرفات، وحسن نصر الله، وبشار الأسد، وآية الله الخميني في إيران، وربما حتى معمر القذافي[13]. جنبا إلى جنب مع هؤلاء القادة سوف يختفي الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل".

نيويورك تايمز ذكرت أيضا أن هاليفي Halevy ألقى خطابا في ميونيخ في فبراير 2003 حيث قال، "موجات الصدمة الناشئة عن بغداد ما بعد صدام يمكن أن يكون لها آثار واسعة النطاق في طهران ودمشق ورام الله". أشار كاتب المقال إلى أن إسرائيل، "تأمل أنه بمجرد الاستغناء عن صدام حسين، ستبدأ قطع الدومينو في الانهيار. على هذا الأمل. . . سيتم تشجيع المعتدلين والإصلاحيين في جميع أنحاء المنطقة على ممارسة ضغوط جديدة على حكوماتهم، باستثناء السلطة الفلسطينية لياسر عرفات". لخصت مجلة Forward التفكير الإسرائيلي حول التحول الإقليمي في مقال نُشر قبل الحرب مباشرة: "أصبحت المستويات العسكرية والاقتصادية اليهودية تعتبر حرب العراق التي تلوح في الأفق بمثابة منقذ افتراضي خارق من شأنه أن يقلب الموائد السياسية والاقتصادية ويخرج إسرائيل من مستنقعها الحالي".

قد يجادل البعض بأن قادة إسرائيل متطورون وخبيرون للغاية بحيث لا يؤمنون بمثل هذا المنقذ ويؤيدون مثل هذا المخطط الطموح، لأنهم على دراية كبيرة بتعقيدات منطقتهم بحيث لا يصدقون أنه يمكن أن ينجح مثل هذا الخيال. لكن في الواقع، لدى قادة إسرائيل تاريخ طويل في تفضيل خطط طموحة بشكل ملحوظ لإعادة رسم الخريطة المحلية. لم يكن الحلم الصهيوني الأصلي بإعادة إنشاء دولة يهودية حيث لم يكن هناك أي منها موجودًا منذ ما يقرب من ألفي عام شيئًا إن لم يكن شيئا طموحًا للغاية، وكما نوقش في الفصل الأول، كان دافيد بن غوريون David Ben-Gurion يأمل في الاستيلاء على كل الضفة الغربية وجزء من لبنان وأجزاء من مصر في حرب السويس عام 1956. وبالمثل، اعتقد أرييل شارون Ariel Sharon أن غزو لبنان عام 1982 سيؤدي إلى إنشاء دولة نصرانية مؤيدة لإسرائيل هناك، وأن يقهر منظمة التحرير الفلسطينية مرة واحدة وإلى الأبد، وبالتالي تعزيز سيطرة إسرائيل على الأراضي المحتلة. بالنظر إلى هذا التاريخ، ربما لم يكن مفاجئًا أن العديد من القادة الإسرائيليين كانوا يأملون في أن تتمكن الولايات المتحدة من ذلك وتكون قادرة على النجاح حيث فشلت خططهم السابقة.

دور اللوبي اليهودي في إعادة تشكيل الشرق الأوسط

بحلول عام 2002، كان العديد من المحافظين الجدد neocons أيضًا مستثمرين بشكل كبير في فكرة أن الولايات المتحدة يمكنها إضفاء الطابع الديمقراطي على الشرق الأوسط وجعله بيئة أكثر صداقة لأمريكا وإسرائيل. لقد وصلوا إلى هذا الموقف على مدار التسعينيات حيث أصبحوا محبطين بشكل متزايد من السياسة الخارجية للولايات المتحدة بعد الحرب الباردة. لطالما اهتمت الجماعات الموالية لإسرائيل - وليس المحافظون الجدد فقط - بإشراك الجيش الأمريكي بشكل مباشر في الشرق الأوسط حتى يتمكن من المساعدة في حماية إسرائيل. كانوا مهتمون بشكل خاص برؤية أعداد كبيرة من القوات الأمريكية المتمركزة بشكل دائم هناك. لكن نجاحهم كان محدودًا على هذه الجبهة خلال الحرب الباردة، لأن أمريكا عملت كقوة توازن خارجية في المنطقة. معظم القوات الأمريكية المخصصة للشرق الأوسط، مثل قوة الانتشار السريع Rapid Deployment Force، تم إبقاؤها "في الأفق" وبعيدًا عن طريق الأذى. حافظت واشنطن على توازن ملائم للقوى من خلال عمل توازن قوى بين الأطراف

---

[13] "أعداء إسرائيل الآخرين: (...) حسن نصر الله، وبشار الأسد، وآية الله الخميني في إيران"، هذا كله لذر الرماد في العيون فالرافضة هم أحباب اليهود حيثما حلوا، ولوا كنت تبحث عن دليل فأنظر إلى إيران مثلا ففيها أكبر تجمع لليهود في الشرق الأوسط كله ما عدا دولتهم ويمارسون دينهم بحرية هناك، وما غزوا العراق إلا لتمكين الرافضة من الحكم.

المحلية بضرب بعضها ضد البعض، ولهذا السبب دعمت إدارة ريغان صدام ضد إيران الثورية خلال الحرب العراقية الإيرانية (1980-1988).

تغيرت هذه السياسة بعد حرب الخليج الأولى عندما تبنت إدارة كلينتون استراتيجية "الاحتواء المزدوج." بدلاً من استخدام إيران والعراق لتحقيق التوازن بين بعضهما البعض - مع تذبذب الولايات المتحدة للحلف مع الجانبين حسب الحاجة - دعت الاستراتيجية الجديدة إلى تمركز قوات أمريكية كبيرة في المنطقة لاحتواء كليهما في وقت واحد. كان مارتن إنديك Martin Indyk، هو من أسس لنظرية الاحتواء المزدوج، أول من صاغ الاستراتيجية في مايو 1993 في WINEP ثم طبقها كمدير لشؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا في مجلس الأمن القومي. وكما يلاحظ كينيث بولاك Kenneth Pollack، زميل إنديك Indyk في معهد بروكينغز Brookings colleague، فإن الاحتواء المزدوج كان سياسة تم تبنيها إلى حد كبير ردًا على "مخاوف إسرائيل الأمنية". على وجه التحديد، أوضحت إسرائيل لإدارة كلينتون أنها "مستعدة للمضي قدمًا في عملية السلام فقط إذا شعرت بالأمن بشكل معقول" من إيران.

كان هناك استياء كبير من الاحتواء المزدوج بحلول منتصف التسعينيات، لأنه جعل الولايات المتحدة العدو اللدود لدولتين تكرهان بعضهما البعض، وأجبرت واشنطن على تحمل عبء احتواء كل منهما. كما تمت مناقشته في الفصل العاشر، لم تنقذ "إيباك" ومجموعات أخرى في اللوبي الصهيوني السياسة فحسب، بل أقنعت الكونجرس وكلينتون بتشديدها. بل ذهب المحافظون الجدد neocons إلى أبعد من ذلك، على أية حال كانوا مقتنعين بشكل متزايد بأن الاحتواء المزدوج لم يكن مجديًا وأنه يجب إزالة صدام حسين من السلطة واستبداله بحكومة ديمقراطية. انعكس تفكيرهم في الرسالتين المفتوحتين اللتين أرسلتهما إلى الرئيس كلينتون في أوائل عام 1998 بالإضافة إلى دعم قانون تحرير العراق.

في نفس الوقت تقريبًا، بدأ الاعتقاد بأن نشر الديمقراطية عبر الشرق الأوسط من شأنه أن يهدئ المنطقة بأكملها وكان هذا التفكير يتجذر داخل دوائر المحافظين الجدد neocons. اقترح عدد قليل من المحافظين الجدد هذه الفكرة في أعقاب الحرب الباردة، لكن لم يتم تبنيها على نطاق واسع حتى الجزء الأخير من التسعينيات. كان هذا الخط من التفكير، بالطبع، واضحا في دراسة "Clean Break" عام 1996 والتي كتبها مجموعة من المحافظين الجدد neocons لنتنياهو Netanyahu. بحلول عام 2002، عندما أصبح غزو العراق قضية محورية، أصبح التحول الإقليمي عقيدة لدى المحافظين الجدد neocons، الذين ساعدوا بدورهم في جعل هذا محور السياسة الخارجية للولايات المتحدة. وهكذا، رأى القادة الإسرائيليون والمحافظون الجدد neocons وإدارة بوش الحرب مع العراق كخطوة أولى في حملة طموحة لإعادة تشكيل الشرق الأوسط.

الملخص

كانت خطط إدارة بوش بشأن العراق والمنطقة فشلاً ذريعاً. ليس فقط الجيش الأمريكي عالق في حرب خاسرة فحسب، بل هناك احتمال ضئيل لتصدير الديمقراطية في الشرق الأوسط في أي وقت قريب. كانت إيران هي المستفيد الرئيسي من هذه المغامرة غير المدروسة ويبدو أنها مصممة كما كانت دائمًا على امتلاك قدرة نووية. لا تزال سوريا، مثل إيران، على خلاف مع واشنطن، ولكل من الدولتين مصلحة قوية في تعثر الجيش الأمريكي في المستنقع العراقي. تهيمن حماس الآن على غزة والسلطة الفلسطينية منقسمة بشدة - مما يجعل السلام مع إسرائيل أكثر مراوغة - وحزب (اللات) أقوى من أي وقت مضى في لبنان، بعد أن وقف في وجه إسرائيل في حرب عام 2006. ربما نشهد "مخاض ولادة شرق أوسط جديد"، إذا استخدمنا العبارة المؤسفة لوزيرة الخارجية رايس Rice، لكن من شبه المؤكد أنها ستكون أكثر خطورة وخطورة من تلك التي كانت موجودة قبل غزو الولايات المتحدة للعراق.

الحرب في العراق لم تكن جيدة لإسرائيل أيضًا، خاصة أنها عززت يد إيران في المنطقة. في الواقع، ذكرت صحيفة Forward في أوائل عام 2007 أن هناك "ضجة متنامية" من الأصوات في إسرائيل التي تقول إن الدولة اليهودية "قد تجد نفسها في خطر أكبر" الآن بعد إقصاء صدام من السلطة. أماتسيا برعام Amatzia Baram، الخبير الإسرائيلي في العراق الذي دعا إلى الإطاحة بصدام في مقابلات ما قبل الحرب في نشرة إيباك AIPAC الإخبارية

لتقرير الشرق الأدنى، يقول الآن: "لو كنت أعرف حينها ما أعرفه اليوم [يناير / كانون الثاني 2007]، لما أوصيت بخوض الحرب، لان صدام كان اقل خطورة بكثير مما كنت اعتقد ". علاوة على ذلك، اعترف بأن الغزو أنتج "إرهابًا أكثر بكثير مما توقعت". قال يوفال ديسكين Yuval Diskin، رئيس الشاباك Shin Bet، جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي، في فبراير 2006، "لست متأكدًا من أننا لن نفتقد صدام".

بينما تبحث الولايات المتحدة عن طرق لتخليص نفسها من هذا الوضع الكارثي، يتزايد الضغط على إدارة بوش للتحدث مع إيران وسوريا، وبذل جهود منسقة لتسوية الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. المحافظون الجدد neocons والإسرائيليون، بالطبع، اعتقدوا أن الطريق إلى القدس يمر عبر بغداد. اعتقدوا أنه بمجرد فوز الولايات المتحدة في العراق، سيصنع الفلسطينيون السلام بشروط إسرائيل. لكن مجموعة دراسة العراق المكونة من الحزبين ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير Tony Blair وكثيرين غيرهم يعتقدون أن العكس هو الصحيح: فالطريق إلى بغداد يمر عبر القدس. بعبارة أخرى، سيساعد إنشاء دولة فلسطينية قابلة للحياة الولايات المتحدة على التعامل مع العراق والمشاكل الإقليمية الأخرى. لقد تحدى إسرائيل واللوبي اليهودي بقوة هذا الخط من الجدل، وأصرتا على أن مشاكل أمريكا في العراق لا علاقة لها بالفلسطينيين. في الواقع، ذكرت صحيفة هآرتس في أواخر تشرين الثاني (نوفمبر) 2006، قبل إصدار تقرير مجموعة دراسة العراق مباشرة، أن رئيس الوزراء إيهود أولمرت Ehud Olmert، "يأمل في أن يتمكن اللوبي اليهودي من حشد أغلبية ديمقراطية في الكونجرس الجديد لمواجهة أي تغيير محتمل للوضع الراهن للفلسطينيين ". وبالمثل، لا يزال عدد من الجماعات الموالية لإسرائيل يرون أن الولايات المتحدة يجب أن ترفض التحدث مع إيران وسوريا حتى توافق هاتان الدولتان على جميع مطالب واشنطن.

تواجه إدارة بوش ضغوطا متزايدة للانسحاب من العراق، لكن القادة الإسرائيليين شجعوه على البقاء وإنهاء المهمة. لماذا؟ لأن هؤلاء القادة يعتقدون أن انسحاب الولايات المتحدة من شأنه أن يعرض أمن إسرائيل للخطر. أشار كل من وزيرة الخارجية تسيبي ليفني Tzipi Livni ورئيس الوزراء أولمرت Olmert إلى هذه النقطة في المؤتمر السنوي للجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية AIPAC في آذار (مارس) 2007. وقالت ليفني إنه: "في منطقة تكون فيها الانطباعات مهمة، يجب على الدول أن تحرص على عدم إظهار الضعف والاستسلام للمتطرفين". بل إن أولمرت كان أكثر فظاظة: "أولئك الذين يهتمون بأمن إسرائيل. لاستقرار الشرق الأوسط بأكمله يجب أن يدركوا الحاجة إلى نجاح أمريكي في العراق وخروج مسؤول". وختم تصريحاته بالقول: "عندما تنجح أمريكا في العراق تكون إسرائيل أكثر أمنا. أصدقاء إسرائيل يعرفون ذلك والأصدقاء المهتمون بإسرائيل يعرفون ذلك". انتقد النقاد أولمرت لإدلائه بهذه التصريحات، ويرجع ذلك أساسًا إلى أن تعليقاته قدمت أدلة إضافية على أن إسرائيل قد دعمت غزو الولايات المتحدة للعراق. برادلي بورستون Bradley Burston، الذي يكتب في صحيفة "هآرتس"، كان غاضبًا بشكل خاص من أولمرت لخوضه الجدل الأمريكي حول العراق. كانت لديه رسالة بسيطة لرئيس الوزراء: "إبتعد عن هذا كليا".

وكان أولمرت قد أعرب بالفعل عن دعمه لاستمرار الوجود الأمريكي في العراق خلال زيارة للبيت الأبيض في تشرين الثاني (نوفمبر) 2006، قائلاً: "لقد تأثرنا بشدة وشجعنا الاستقرار الذي جلبته العملية الكبرى لأمريكا في العراق إلى الشرق الأوسط. " حتى أن بعض مؤيدي إسرائيل الثابتين تفاجأوا بسبب تصريحات أولمرت المتعثرة، حيث قال عضو الكونجرس غاري أكرمان Gary Ackerman، "لقد صُدمت. إنها ملاحظة غير واقعية للغاية. معظمنا هنا يدرك أن سياستنا كانت كارثة كاملة وشاملة للولايات المتحدة".

بالنظر إلى أن العديد من الأمريكيين يشاركون أكرمان الآن مشاعره بشأن الحرب، فلا ينبغي أن نتفاجأ من أن بعض الإسرائيليين وحلفائهم الأمريكيين حاولوا إعادة كتابة السجل التاريخي لإعفاء إسرائيل من أي مسؤولية عن كارثة العراق. في آذار (مارس) 2007، كتب محرر صحيفة جيروزاليم بوست Jerusalem Post، ديفيد هوروفيتس David Horovitz، عن: "الفكرة الخاطئة بأن إسرائيل شجعت الولايات المتحدة على خوض حرب العراق".[14] وبالمثل، قال شاي فيلدمان Shai Feldman، الرئيس السابق لمركز جافي للدراسات الإستراتيجية

---

[14] اليهودي هنا يحاول أن يبرئ نفسه وأن يغير سجل التاريخ كما يفعله دوما، أحيانا بالقوة وأحيانا بالأموال والإعلام لأن اليهودي يستحل الكذب ضد الآخرين.

Jaffee Center for Strategic Studies والآن رئيس مركز كراون لدراسات الشرق الأوسط في برانديز Crown Center for Middle East Studies at Brandeis، لغلين فرانكل Glenn Frankel من صحيفة واشنطن بوست في صيف عام 2006، "انظر، إسرائيل لم تحشد أي شخص حول العراق، وربط إسرائيل بالمحافظين الجدد في هذه القضية هو أمر غير معقول. إسرائيل لم تنظر إلى العراق على أنه خطر، وأكثر من ذلك، لم يكن لديها مصلحة في دفع أجندة الديمقراطية لإدارة بوش ". تعكس وجهة النظر هذه بلا شك معتقدات فيلدمان Feldman حول مصالح إسرائيل وتسلسل التهديدات التي تواجهها، ولكن كما أوضحنا، فهي تتعارض مع ما كان يقوله قادة إسرائيل ويفعلونه بالفعل في الفترة التي سبقت الحرب.

حتى لا يتفوق عليها مارتن كرامر Martin Kramer، الباحث في WINEP، يدعي أن أي محاولة للربط بين إسرائيل واللوبي مع الحرب في العراق هو "مجرد كذب"، بحجة أنه "في العام الذي سبق حرب العراق، اختلفت إسرائيل مرارًا وتكرارًا مع الولايات المتحدة، بحجة أن إيران شكلت تهديدًا أكبر". ولكن كما هو مبين أعلاه، فإن مخاوف إسرائيل بشأن إيران لم تدفعها أبدًا إلى بذل جهد كبير لوقف المسيرة إلى الحرب. على العكس من ذلك، كان كبار المسؤولين الإسرائيليين يفعلون كل ما في وسعهم للتأكد من أن الولايات المتحدة ستطارد صدام ولن تشعر بالبرد في اللحظة الأخيرة. لقد اعتبروا العراق تهديدًا خطيرًا وكانوا مقتنعين بأن بوش سيتعامل مع إيران بعد أن ينتهي من العراق. ربما كانوا يفضلون أن تركز أمريكا على إيران قبل العراق، لكن كما يعترف كرامر Kramer، فإن الإسرائيليين: "لا يذرفون الدموع على رحيل صدام". وبدلاً من ذلك، لجأ قادتهم إلى موجات الأثير الأمريكية، وكتبوا مقالات رأي، وأدلوا بشهاداتهم أمام الكونجرس، وعملوا عن كثب مع المحافظين الجدد neocons في البنتاغون ومكتب نائب الرئيس لتشكيل المعلومات الاستخباراتية حول العراق وتنسيق محرك للحرب.

يوسي ألفر Yossi Alpher، الخبير الاستراتيجي الإسرائيلي في مركز جافي Jaffe Center، يزعم أن رئيس الوزراء السابق شارون Sharon كان لديه تحفظات جدية بشأن غزو العراق وقد حذر بوش في السر منه. حتى أن ألفير يلمح إلى أن شارون ربما كان قادرًا على منع الحرب لو تحدث عن مخاوفه علانية. ويكتب: "لو كان شارون قد أعلن عن انتقاده علنًا، مستشهداً بالمخاطر التي تتعرض لها المصالح الإسرائيلية الحيوية، فهل كان سيحدث فرقًا في الجدل الذي كان قائماً قبل الحرب في الولايات المتحدة والعالم؟". هذه حجة مناسبة الآن بعد أن ذهب احتلال العراق جنوباً (أصبح كارثة)، لكن لا يوجد دليل في السجل العام على أن شارون نصح بوش على الإطلاق بعدم مهاجمة العراق. في الواقع، هناك أدلة كثيرة على أن الزعيم الإسرائيلي ومستشاريه الرئيسيين أيدوا الحرب بشدة وشجعوا بوش على البدء بها عاجلاً وليس آجلاً. إذا كان شارون يعتقد أن الحرب كانت خطأ، فلماذا أكد المتحدث باسمه مرارًا وتكرارًا على خطر أسلحة الدمار الشامل العراقية؟! ولماذا حذر شارون نفسه إدارة بوش أن تأجيل الهجوم؛ "لن يخلق بيئة أكثر ملاءمة للعمل في المستقبل"؟

من الممكن أن يكون شارون قد قدم حججاً مختلفة خلف الأبواب المغلقة أكثر من تلك التي أدلى بها في العلن. لكن هذا ليس مرجحاً، لأن الحديث عن موقف شارون المعارض للحرب كان سيتسرب بالتأكيد قبل أن تبدأ الحرب، إن لم يكن في السنة الأولى أو الثانية بعد سقوط بغداد. نادرًا ما كان شارون متحفظًا بشأن التعبير عن آرائه - حتى عندما ينطوي ذلك على خلافات مع الولايات المتحدة - ومن الصعب تصديق أنه كان سيلتزم الصمت في العلن إذا كان يعتقد أن قرار غزو العراق سيكون ضارًا بإسرائيل. باختصار، لا الحقائق ولا المنطق يدعمان ادعاء ألفير.

"للنصر ألف أب لكن الهزيمة يتيمة". مع سعي مختلف أسلاف كارثة العراق الآن إلى إنكار أبوتهم، فإن ملاحظة الرئيس جون كينيدي John F. Kennedy الحزينة أكثر ملاءمة كشعار من أي وقت مضى. لكن العراق لم يكن دائما بالصورة البشعة التي أصبح عليها. لبضعة أشهر قصيرة في ربيع عام 2003، بدت الولايات المتحدة وكأنها قد حققت نصرًا مذهلاً ولم تكن هناك حاجة تذكر للمدافعين عن إسرائيل لإنكار المسؤولية عن الحرب. خلال هذه الفترة القصيرة من الفرص، في الواقع، بدأ القادة الإسرائيليون وحلفاؤهم الأمريكيون في الضغط على إدارة بوش لجلب القوة الأمريكية للتأثير على سوريا وإيران، على أمل أن تعاني هاتان الدولتان المارقتان من نفس مصير نظام صدام حسين. دعونا الآن في الفصل القادم نعرض في كيفية تأثير إسرائيل واللوبي الصهيوني (اليهودي) على سياسة الولايات المتحدة تجاه سوريا، ثم ننتقل إلى إيران.